أجنحة القدر

مجموعة أدبية

تأليف : بيان فرج

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(3145 / 6 / 2021)

819.9 فرج، بيان رشاد محمد
أجنحة القدر /بيان رشاد محمد فرج
ر.إ: 3145 / 6 / 2022
الواصفات: /النصوص الأدبية// الأدب العربي // الاحوال السياسية// الثقافة العربية المعاصرة/

Isbn 978-9923-24- 162-2

Copyright ©

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. NO Part of this book may be reproduced, stored in aretrival system, or transmitted in any form or by any means, without prior permission in writing of the publisher.

المقدّمة

للوهلة الأولى قد تظن أنَّ أمامك محتوى أدبي، إلا أنَّ أجنحة القدر تأخذك لعالم المرأة والأمل لتحلّق بين سطور من نور، ستشعر أنّك ابتلعت فراشة بين ضلوعك، فأحضر قهوتك وتهيّأ، ستحتاج أكثر من عينيك لتفهم.

المرأة .. ذلك الملاك الذي يتخبط بجناحيه، يبحث عمّن ينقذه، وينفر ممّن أبهره الجسد فتسلّل للروح حتى استلّها، ثمَّ تركها جثة بلا حياة، هي ليست مسرحًا للرغبات والشهوات تشعلها وتحوّلها لمنفضة من رماد!

إنما هي الحياة، فعل الماضي والحاضر بأمرها المستقبل الباهر، بيدها تخط كتاب حياتك، وبين أناملها كل السعادة والشقاء، كل ما عليك هو الوصول لقلبها لتنعم بها، وتنعم على من حولك..

يراها البعض صيدًا، أولئك أغبياء عميت أبصارهم عن مكانتها فقتلوا براءتها، حين جهلوا شريان العلم والفكر وأصل الوجود، في فكرها كل النور والإبداع إن أُحسِن إعدادها، أما إذا قيدتها، دفنت قدراتها وإبداعها.

هناك من يجْعلون من جسدها قالبًا جامدًا، يلتهمونه بعقول فارغة فيظلمون أنوثة خصبة كانت ستثمر لو رعوها واستثمروا فيها، يغتصبون

إنسانيتها حين يجردونها من الروح، فتغدو لوحة في مقبرة الجدران، أو نصًا جامدًا بين طيات كتاب كان أينع من وردها المجفف.

تلك الرقيقة في لمساتها، المغدقة في عطائها، تواجه كل الصعاب والظروف بصمود، تواجه العواصف، وتسعى للبقاء وتستلّ حقها في الحياة بصبر وثبات،

رغم بؤسها تواصل الاشتعال لتنير ظلمة ما حولها، تلك النسمة الهادئة قد لا تلفت أحدًا، فهي بسيطة لا تفي بالغرض لتظهر على كبريات الشاشات، ولا تلفت صنّاع الشهرة، قد تثير الشفقة والرأفة لمن يمتصون رحيق عطائها حتى تذوي، فيديرون لها ظهورهم، حين الاكتفاء.

هذا الكتاب لكم بصيص نور لتقطفوا ثمار الأمل من شجرة الحياة رغم تشابك أغصانها، وقسوة أشواكها.

أما أنت أيتها المرأة «الحياة» ستجدين بين الحروف سلاح الصبر، ودروعًا ضد الفشل بعد خيبات، والمحاولة مرات ومرات فتنهضين من العثرات قوية من جديد.

إهداء

كلماتي مهداة لأصحاب الحناجر الصامتة، لمن اعتاد الاعتذار عن الإجابة الكاذبة، للمهتمين بأدق التفاصيل وأعمقها، لمن آلمتهم عتمة الصغائر.

أهديها لكل من غُرست الخناجر بصدورهم حتى أنصالها فتركت ندبات لا تزول، لمن اعتادوا الصمت حتى ألفوه.

الاهتمام

أنت الأُسْطورَة:

لا تستهين فيمن يحبك ويحرق لأجلك نفسه وقلبه وعقله، سيأتي يوم لن يجد ما يحرقه، فتبحث كثيرًا وكثيرًا لكنّك لن تجد ما اعتد عليه، حتى لو حاولت استرجاع ما فات لن تجده مهما حاولت وبذلت، لذا حافظ على أنثى وجدت عندها الحب والأمان، إيّاك أن تحوّلها لجثة تمشي على الأرض بداعي رجولتك، الفرق كبير بين الذكر والرجل، فالرجل هو من تجد الأنثى لديه الحب والأمان والاهتمام، فتغدو ملكة متوّجة على عرشها، لا تنير الأنثى شموعها إلا حين تشرق روحها، فكن لها وقود الروح، لكن انتبه من الأنثى التي تحترق لتنير حياتك فسرعان ما ستذوي، وإذا ذوت ذابت واختفت، فيختفي معها النور، حافظ على نورها لا احتراقها، لا تستنفذ حبها وعطاءها، وهل أسوأ من الإهمال؟! يتجاهل الرجل أنثاه إذا ملكها، لكنّه لا يدري أنّه بفعله هذا يحطمها، ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر، فيندم بعد فوات الأوان.

حينها لن تستطيع إصلاح ما حطمته، فبعض الكسور تبقى جارحة مشوّهة حتى لو أصلحتها!

من أنا؟

أنا فتاة حالمة، أمتلئ بالأفكار والخيال، أتراوح بين المرح والمثالية، ينتابني الملل والإحباط إذا لم يفهمني من حولي، وما أقلّ من يفهمني، رغم الكاريزما أنحاز لنفسي، بين النار والرماد تجدني، أشتعل طاقة وأعيش الفتور، لي طريقتي الخاصة في التفكير والتقدير، قد أخطئ أو أُصيب، لكنّني مؤمنة بنفسي مكتفية بما أمتلك من حواس يتوّجها الحدس.

الحيَاة

فترة من الزمن تزور بها الدنيا ثم تغادر، ويجعل الله فيك الروح أمانة يستردها متى شاء فينتهي أجلك، أين وكيف ومتى أمور غيبية لا يعلمها إلا الله.

ولأن الحياة محض قدر لا خيار لك فيها، متى تولد ومن أهلك، وكم تعيش وأبواب رزقك، فأنت مسؤول فيها عن قراراتك واختياراتك فقط، تعيش الفرح ما استطعت إليه سبيلا، وتبذل الجهد في سبيل أحلامك، تأخذ بالأسباب وتتوكل على الله وتمضي، مطلوب منا الاعتدال في الفرح والحزن، في الحب والبغض، أن نكون وسطًا في كل شيء، سلاحنا في هذه الدنيا الأمل والرضا والصبر، نحياها كأننا نعيش للأبد ونعمل لأخرتنا كأننا سنموت في الغد، فهما طالت حياتك هي رحلة قصيرة، ابذل جهدك أن تعيش الرضا والسعادة حتى لا تموت مرتين، مرة وأنت على قيد الحياة ومرة تحت التراب، وتذكر أن بيدك مفاتيح السعادة فالسعادة قرار لا اختيار، كلما نضج وعيك وإدراكك وفهمك لهذه الدنيا وعدم تمسكك بها، نلت السلام المنشود، وبلغت الحد المطلوب، وبقدر ما تسعد الآخرين يتضاعف رصيدك فكل شيء مرده إليك لا محالة، قانون الكارما يقول: أفعالك ستزورك،

فكل عمل يعود إليك لكن بشكل آخر.

كن ذا هدف، وعش مكافحا لأجل الوصول، فإذا وصلت لا تنسى أن تشكر الله على نعمه ودعمه وتوفيقه.

وهمُ الحياة

إِنَّ الأَوْهام تجعل الحياة أمرًا يمكن احتماله؛ لذا يكره الناس الحقائق التي تبدّد الأوهام، وتضعهم أمام مرارة الواقع.

في الوقت الذي تفكر فيه أن بإمكانك العيش والنجاح إذا بذلت، تظنّ المشوار سهلًا، وأنَّ موهبتك لا تحتاج الكثير لتبرز، وتصبح فنانًا أو كاتبًا مشهورًا يشار له بالبنان، تبرز الحياة أنيابها، فتشهر بثقل الأيام والخطوات، تذرف الدموع تتجرعها في كؤوس المعاناة التي لن يتقاسمها معك أحد، فتبْدأ مَرْحَلة الاخْتبار وخوْض المعْركة في حياة الوهم، لِماذَا؟ لِأَنَّك حين تكون مختلفًا عنهم قد يرفضونك، الناس يحبون من يعتمدون عليه لا من يعتمد على الآخرين ويحاجهم، وهنا تكمن المفارقة.

في تلك الحالة ومع الصدمة الأولى قد تفقد ثقتك بنفسك، في مواجهة مجتمع ظالم، وأناس لا يرحمون كبيرًا أو صغيرًا، عاجزًا أو سليم، قلّما يلتفتون لذي إعاقة أو مريض.

لكنّ الحياة لا تقف ولا تنتظر العاجزين، وما العجز إلا في التفكير، أما الجسد فما هو إلا وعاء لهذه الروح الأمانة التي استودعك الله رعايتها حتى يسترد أمانته، هنا لا بد أن تعدّ العدّة وتستعد لخوض التهميش والصراعات اليوميّة، سيكون عليك ابتلاع أوجاعك وكتم الأنفاس كي

لا تكون ثقيلًا على أحد فتنفرد بثقل يجثم على صدرك، ستنغمس في ذاتك وتلف ذراعيك حول نفسك تحتويها، ستواجه أصحاب الضمائر الميتة، تغيّر تفكيرك وأسلوب حياتك، سيتعين عليك وحدك أن تنهض من ركامك، قد تكفّ عن الاختلاط والحديث مع عقول متحجرة، إلى أن يأذن الله لنورك بالانبعاث من داخلك فتتوهج متخطيًا كل ما حولك، حينها ستكون أنت بطل حكايتك، وتنتصر على الحياة بأوهامها وحقائقها، حينها يفيض الله عليك حكمة وصبرًا فتزدهر.

كلمات تَهُز الأحاسيس

الكتابة نزف، حين أكتب تنساب الحروف المقهورة، تأبى أن تتوارى بين السطور، يحدث أن يبلل الدمع أوراقي، حروفي هي ذاتي المخجولة الساعية للتحرر من كلّ قيود البشر، أكتب ولا أغفل أبجديات القيم التي لا أفرط بها.

أكتب عن الحب كشعور إنساني صادق، أجسده بمعاني لا تسعها السطور، حب يعتصر الأحاسيس فيولد الإنسان.

كلمات من عمق الحَياة

نصرخ صرختنا الأولى فتنطلق الزغاريد ويعم الفرح بميلاد يعلن حياة جديدة، تنتهي حين نصمت، فيصرخون ويبكون نهاية حزينة، ما بين صرختين نحيا تفاصيل عمر قصير مهما طال، عمر نسمى ما نتخطى منه ماضيًّا وما سيأتي مستقبلًا، بوما بينهما نفترش الحاضر ، لنقتات عليه الذكريات، ونطلب المزيد من الأمنيات بنهم شديد، نعيش تفاعلات مع محيطنا وانفعالات مع كل ما يمر في طريقنا، نحسن ونسيء استخدام هذا الجسد «الآلة» نسكب فيه الدموع ونقحمه في المشكلات، والأوجاع، نرسم على وجهه الفرح بين الفينة والأخرى ما استطعنا إليه سبيلا، نلهو ونلهو نأكل الوقت والوقت يأكل أعمارنا، نجافي التراب ونحن منه وإليه راجعون، نتعلق بكل ما يلمع راكضين خلف السراب، نحرق الليالي بالسهر ونقتل شمس النهار بالكسل، فنتوه في دوامة الوقت، نتعلم الدروس بعد الرسوب فيها، حتى إذا ما أقعدتنا الحياة على قارعة الطريق، أطرقنا واضعين أكفنا على وجوهنا، نضحك من بؤسنا، نضحك من سخافة تعلقنا، مواقف رأيناها عظيمة تمر بذاكرتنا حقيرة ضئيلة، لا نرغب بالعودة ولا حتى مواصلة المسير، قلَّ لِلزَّمان كم أرهقتني! أصعدني الجبال وفي الوديان ألقيتني، وحين ظننت ماءك حلواً فكنت بحراً وابتلعتني، مرّ من مرّ في رحلة العمر وعبر من

عبر، وتراكمت على الوجه خطوط الحكمة والعِبر، الآن أولد من جديد، بقلب من حديد اختبر من مُرّ الحياة ما اختبر، الآن فقط فهمت أنَّ الحياة لعب ولهو معتبر، يمر العمر بلمحة عين، ما بين رحم وقبر، فطوبى لمن عمل فأفلح، من استثمر عند الله في تجارة لا تخيب.

عِباراتي هِي جُزْء مِن سكاتي

نكتب ما نصمت عن البوح به، وليس كل السكوت ضعفًا أو عجزًا، إنما نصمت عن كل ما لا يفهمه الآخرون، قد لا نجيد الكلام كما نجيد الكتابة، بعض الكلام ثرثرة فارغة، زبد لا يمكث في النفوس، أما النصوص فهي عصارة النفوس.

وما أعمق لغة العيون التي يعجز عم فهمها الكثيرون، فتظلّ الكتابة الملاذ الآمن الي نهرب إليه من ضجيج الحياة، نخط دستورنا بأيدينا بثقة زرعتها النكبات.

أفضل الصمت في حرم الجمال، فلا تحكم عليّ بالبكم وأنت جاهل بخلجات نفسي، وحين تقرأ نصوصي ستصمت أيضًا وتراجع كل ثرثرة لم تفضِ إلى روحك.

في الكتابة فضاء رحب نعبّر فيه عن الحق في الكلام، عن السخط واللامبالاة بردة فعل عابرة، عن الاحترام المفقود لإنسانيتنا، عن الرضا رغم الإهانات المبطنة، عن كل ما لا يمكن التعبير عنه بالحواس وعن كل ما يصعب تفسيره وهو سلس كالماء، فاستقي منه حتى ترتوي كي لا تجف من الأعماق.

الأمّ

تلك الأكف الحانية، الوجه الأجمل الذي تكونت منه ملامحك، الأم.. الأم نفحة منْ نفحات الجنة، ونسمةُ ربيع وادعة تملأُ القلبَ بالحياةِ والروحُ بالأمل، هيَ أقربُ مخلوق وكتلة عطاء، وهي الشمعةُ التي تحترق لتنير حياة أبنائها، الجنة بين يديها وتحت قدميها، أما حضنها فواحة غنّاء تسلب كل التعب، رفيقة السن الأول والخطوة الأولى على يديها تنمو، تظل طفلًا مهما كبرت أمام عينيها، حتى إذا أسلمت روحها لبارئها تشيخ مرة واحدة.

قديمًا قالوا «حضن الأم بلم»، حقيقة أن الأم تجمع أبناءها حولها، تعود إلى البيت بعد يوم شاق تواجه فيه صعاب الحياة، فلا ترى الحياة إلا بعينيها، أول سؤال حين تفتح الباب: أين أمي؟ فإذا ماتت انخلع الباب، يبكيك صريره، يصبح ليلك طويلا باردًا، تصفعك الدنيا فلا تجد من يطبطب عليك أو يربت على قلبك، تفتقد دعوات الفجر التي كانت تفتح أبواب رزقك وترد العثرات عنك، من كان له أم كان له باب من أبواب الجنة، هي التي ينير بوجهها البيت المظلم، ويظلم بعدها مهما أشعلت من الأضواء.

حين تخرج من البيت تتبعك نظراتها وتسبق خطاك دعواتها، تحرسك حتى تعود لتجدها في الشباك تنتظر طيفك، هي التي يصبح

الشتاء في حضنها دفء وأمان، وفي غيابها يجمّد أطرافك الصيف، بين الحياة والموت تمنحك الحياة.

هي الوطن ودونها تعيش في منفى، تأكل الغربة قلبك ويأكل الاغتراب روحك، فمن كانت له أم فلتكن قبلته يهجع بين يديها، يصلي لله أن يديم صحتها، فإن مرضها يقسم الظهر، كل لحظة أنين لها تسقط في قلبك.

قسوتها نعيم، تدرك حين تكبر أنها قست عليك لتتحمل الدنيا بعدها، لتشق طريقك بعزم مقاتل شرس مغوار، تصل هدفك فتهدأ روحها، إن عبس وجهها أظلمت الدنيا، وإذا غضب قلبها قفلت الأبواب بوجهك، هي الأولى بالحب والرضا، هي نعمة فاحرص عليها وإن التبست عليك أمور الدنيا فلا تتردد باللجوء إليها، هي كاتمة الأسرار، وقلبها يستشعر حالك مهما ابتعدت عنها، فاستفتها في أمرك، واستودعها الله كل لحظة كي لا تفقد أريج حياة هي ربيعها، وإذا سلبك الله تلك النعمة فكرس وقتك في الدعاء لها، وصل صويحباتها ففيهن بعض رائحتها.

إِلى شَقيقِي ...

حُبٌّ خَالِص وبعْد:

أي شقيق الروح، شريك الملامح والظروف،

أشتاق إليك كثيرًا، ما هذا الفناء الذي نعيشه مغتربين؟!

كيف أصبحت الآن؟ ماذا حلّ بك مع الأيام؟

كيف تمكّن حاجز تضخّم فوق مشاعرنا وحرمنا بهجة اللقاء يا رفيق الرحم؟

أتعرف ماذا أتمنى الآن؟

أن تزول كلّ الحواجز والقيود التي تمنعني من احتضانك والبكاء على كتفيك، أن أكون معك، وتكون أمام عيني فيحلو اللقاء..

أن ألمس يديك بيدي فيحل الدفء ويبدد برد الجفاء..

أَتذكر؟ أَتذكر أيَّامًا كُنَّا لَا نَفتَرِق أبدًا، كيف كانت يدك بيدي حيث كنا سعداء؟

ليتنا بقينا أطفالًا نكتب الأمنيات على حيطان منزلنا وجدران الحديقة فتعاقبنا أمي، ما أجمل ذلك العقاب وأبسطه أمام عقاب الحياة

القاسي الذي حرمنا الكلام.

حين خطّ الزمن لك شاربًا فصرت تخرج للعمل ننسى الشجار حين تغادر وأبقى أنتظر عودتك سالمًا، كم طال انتظاري على شباك الأمل..

كم تمنيت أن تظلّ بجانبي لا تغيب، ليتنا لم نفترق، ولم نعبر تلك الطرق،

أنت في سجتك المظلم الصغير ونحن في سجن الحياة الأكبر، نعارك الظلم والظلام، أتمنى أن تكسر تلك القيود، وتزول قضبان السجن ليتحرر قلبي من أسر الضلوع، أتمنى أن تعود سريعًا لتعود البسمة للوجوه، أن يزول البلاء الذي حلّ بنا حين قيدوك.

أتعلم يا أخي؟

كلماتك العابرة صارت دروسًا وعبرًا، منك تعلمت معنى الثبات والإنجاز في أحلك الظروف، لا إنجاز دون تضحية وتعب، ولا نجاح دون مثابرة وإصرار، ربما هكذا كنت تحب أن أكون، امرأة صلبة أخت الرجال، وأنا هي الآن.

تعلمت مِنْك مَعنَى الصَّبْر لِأَنَّ الحيَاة صُعُود وَهبُوط، تعلّمت الثبات رغم الصعاب، أن تغلب إنسانيتي كل الرغبات، وأن أبني علاقتي مع الآخرين دون الانزلاق في نفخ المهاترات، أن أواجه المحن دون أن

أتخلى عن ثوابتي التي لقنتني إياها، ألا تسكت في فمي كلمة الحمد لله على ما مضى وما هو آت.

زدني يا أخي لتنيرني الحكمة التي أراها بعينيك، فاحْمِلْهَا مَعِي وتحصّنني مِن كُلِّ إِحبَاط وتخاذل، حِكْمَة لَا يمْتلكهَا إِلَّا مِن تَحصُّن بِالْحقيقة، وَتَسَامَى عن الصَّغائر لِيسوَّى لَدَيْه اَلمدِيح والتَّجْريح والْأسر وإِطْلَاق السَّرَاح.

إلى مُلْهِمي

سَأظَل دائمًا أَتذَكر أَنك الاستثناء اَلوحِيد عندي، وبأَنَّني لَمَّ أَشهَد مِثْلك فِي حَياتِي، وَبأَن عُمْق علاقتنا لَم يصلْه أحد قِبلنَا، وبأَنَّني معك تَجردَت من غُموضي، أن أبحث عنك في غيرك محض غباء، لذا سَأظَل أُحبُّك جِدًّا فِي دَاخلِي حَتَّى لو لَم تكن معي، حَتَّى لَو كَانَت بيْننَا كُلُّ العالم.. وأَنَّ سَأُلُوني عَنْك، سأخْبرهم بِأَنك الفرح اَلذِي زَارَنِي فِي اَلعُمر مرة ولم يَعُد، وَأَنَّك الرُّوح، وأسير النَّبْض سأخْبرهم أَنَّك الأَجْمل على الإِطْلاق، سأترنم برُوح طِيبة وسأقول لَهُم: هُو عَينِي اَلتِي لَم أر بِهَا.. وَهُو اَلكَتِف اَلذِي اِستنَد عليْه فلَا أَسقَط أبدًا.. وأَنّك مصْدر إِلْهامي والأَقْرب مِن أَنْفاسي.

سأقول لَهُم هُو اَلحُب اَلكبِير اَلذِي يَصنَع المعْجزات ويلغِي المسافات.. سأحْدثهم عَنْك دُون تَوقُّف، فأثرك راسخ لا يزول، كنهر جَار لَيْس لَهَ قَرَار . . . سأخْبرهم مَهمَا طال الزَّمن.. كان هنا وظل هنا، حين أقتل في ذاكرتي الغياب، وأحيا بك ولك لأبد سرمدي حتى الممات.

غُصَّة قَلْب

كقدر أحمق لا مفرّ منه، لا مناص من غصة في القلب، اسمها الحب، يمس الحب قلبك فتشرق، تلمح ذلك الطيف فتتعلق، حتى تغرق، بعضهم إن ضمن وجودك صار ظلًا تتبعه فيضّك، تقترب فيزهو، تبالغ في الاهتمام والعطاء والحب فيتبختر، يبتعد مزهوّا بنفسه كظلّ أخير، تركض تشهق روحك، حتى تتعب ثم يتبخَّر.. ويعود ليستزيد من عنائك ويرضي غروره المرضي، يبادرك بالشفقة، وأنا أنثى أرفض الشفقة.. ستعود وتجدني، لكنّك لن تجد نفسك معي من جديد، هو الجسد ذاته تعرفه، لكنّ الروح لم تعد تعرفك، فاعبر أيها الغريب.. ولا تناظرني وتسأل ما الذي حلّ بك أيّتها الحسناء!

قلقك مشوّش مبهم، كيف تفكّر وتستنكر ما تعلم؟! الأجدر بك أن تتلمس شعاع حب امتداده وصل قلبك، فكل وصالي كانت مشدودة إليك، وآمالي معلّقة على هدبيك فأسقطّها برمشة عين، وإغفال!!

ويمتد الشوق جسرًا، فعجبًا.. لمن نشتاق، لأنفسنا أم لهم نشتاق؟!

البعد كافرٌ جاحد، أرهق مني الوتين وزاد، منحني الحنين سلّمًا لعينيك وذلك الحب الدفين، لتلك النظرة التي كنت أرى بها وجهي، فيثور الحنين، تمامًا كما أشعر الآن وأنا أحتضنك بين الكلمات والسطور

بعد أن غاب الحضور.

كنت ملاذي الحصين وأنا مقاتلة لا تلين، رغم الجسد المثخن بالجروح، أدعوك لطاولة العتاب، علّه يخجل الغياب، إن شئت يا حبيبي فاصمت، بالصمت أنات القلب تُسمع، من قال إن الصمت سكون؟! إنما هو رماد يكسو الحريق.

تنطق، فيغلي ماء الشوق في عيوني، خوفك الملوّح بين ثنايا الحروف هو رغبتك بالبقاء، لا تقلق.. إنني أفهمك، لكن قلبي أغلق أبوابه.. لكن عليك أم دونك؟

القرار لك وحدك، لأنَّ هذا القلب دارك، فلا تكن المنفي من جسدٍ ضمّك واحتواك، والروح روحك غارقة في هواك.

كيف أَصِف اِعْترافي العاشق لِلْورق؟ بل كيف أعبّر عن حبٍّ لم تحط به خبرًا؟!

الحب معركة شرسة خضتها بالدم والدموع، بورد الخدود الذابل على صفيح الدمع والاحتراق، معركة أنت فيها الخصم والحكم!!

آه يا ابن قلبي، بات القلب متعبًا، يغلفه الصمت، أما حروفي المبعثرة في كتاب الشقاء وطيّات الورق المنسي حتى رفوف الوقت يراكم غيابك الغبار فوقها، تعال انفضها لنحدث الدنيا عنك وعني.

ذاكرَتي

مؤرقة تلك الذاكرة التي تفتح الجروح، حيث الدهشة بأشخاص غيروا وعودهم وخانوها، أعود للوراء، تخنقني الذكريات وتقبض على أنفاسي، تلفني الدهشة، كيف يرتدون أقنعتهم كما يرتدون ثيابهم، ثم يخلعونها فجأة بشكل مخيف، أتحسس تلك العثرات التي نهضت منها، لا شيء يحدث عبثًا، لكلّ منهم دور على مسرح الحياة، تبًا للحياة القصيرة المليئة بكل المشاعر القدرية، تتفاقم الأزمات تكاد تنهينا، نتماسك بالإيمان والعزيمة، كانت دروسًا باهظة، ثمنها ليل طويل، سكرات وعبرات خطّت قوانين الحياة الصارمة على وجوهنا، هي الدروس نتعلمها ونمضي بها بقيّة العمر، الدرس الأعمق: لا تبالغ بعواطفك، لا تتعلق فكلّ شيء قابل للتغيير والزوال، اللحظات ثمينة بها يتراكم العمر والخبرات، لتكون أنت المحصلة النهائية لكل المطبات التي عبرتها.

لَوعَة الفرَاق

لَا أَعلَم كَيْف أَتتنِي اَلقُدرة لِأكْتب لَك هَذِه الكلمات، كيف ألمم شتات قلبي، أَكتُبها لَك وَقلبِي ينزِف، وعيْنَاي تَذرِف الدمع، أَكتُب لَك بَعْد أَن أَصبَحت حَياتِي كُتلَة رَمَاد بعد أن أفْقدَني رحيلك البسْمة وَلذَّة الحيَاة.. فكيف أحيا بقلب مات؟! ومَاذَا أَفعَل واشْتياقي إِلَيك يدْفعني نَحْو الهاوية، يَا مِن تعلمّت على يديه مَعنَى اَلحُب، يَا مِن زَرْع الشَّوْق بقلبي والشوك بدربي إذ آمنتُ وأمَّنت، بكم من آه صرخت بأعماقي مِن لَوعَة الفرَاق عد إِلى وَأعَد لِي قَلبِي، عد إِلَيَّ لتعود الحياة، مجرم من اقترف الفراق عامدًا، وسيكون له من فعله نصيب الألم ذاته، حين تعود إليه أفعاله ذات قدر، وذات عدل.

صَرَخات أُنثَى

هي صرخات من رحم الأنوثة المطموسة، تُطْلِقها عاشقة عاجزة، صرخات مدويّة تسمع لها شهيقًا، يفيض منها الألم الجاثم على الصدر، تمسكه الضلوع فيغرق القلب، فهل يصلك قهرها؟ حين تَصرُخ الفتَاة لَا تعلن ضعفها، إنما هي طفْل يَصرُخ مِن شِدَّة الألم أصابه المرض أو تَمَكَّن منه اَلجُوع.

كيف لفتاة أن تبوح بصوتها المبحوح، في مجتمع يمزقها إربًا إن أدرك جرحها المدفون في جنبات الروح؟!

تصرخ بِصَمت ووهي ترتدي ابتسامتها لتخفي غليان دمعها المحبوس، فمن يوقف هذا العذاب؟!

أَيهَا السَّاكن فِي الأعْماق

أَيهَا السَّاكن فِي الأعْماق عفْوًا طَعنتْني بِخنْجَرك، مَزقَت أحْشائي وأنْتَ أَقرَب إِلى مِن حَبْل اَلورِيد، أَيهَا السَّاهي شَارِد العقْل.. كفّ عن حديث اَلعقل اَلمُزين الْمزرْكش حَتَّى لَا تضيع وسط زِحَام الكلمات.

أَيهَا اَلمُقيد.. فكُّ قُيودك بشجاعة رجل تدعي أنّك هو.. أَيهَا السَّاكن فِي الأعْماق، أجبني إن سألتك هل صحّ الفؤاد وصحى دَمعَك العزيز، أَيقظ توهُّجاتك المُحَيرَة طريق اَلحَق سَاطِعة، فلَا تُغْرِيك الشّعارات، ولَا تَقتُل الأحْشاء اَلتِي أَحبَّت براءَتك يومًا، فإنّك ستموتُ مِن أَجْل أن ترى اَلحُب والْأمان يَشع من قَلبُك قَبْل عَينِك، فلا تخنّي وأَبْعد خِنْجرك المسْموم عني.

دَمَار اَلحُب

الشعور الفطري الأول، الدقة التي تشعرك بوجود قلبين لك، قلبك داخل صدرك وآخر قريب منك وكلاهما ينبض، إنّه الحب، الاحتياج الذي لا يستغنى عنه أو يقوى عليه إنسان، يأتي صدفة بمحض قدر، ويأتي وهمًا بمحض غباء، وقد يباغتك وحدك دون أن يبادله قلب آخر ذات النبض فتنزف روحك، على كل حال لكلٍّ منا منه نصيب، ولأغلبنا منه الألم، فالإحْساس بِرباط اَلحُب ولو من بعِيد يقول إنَّك على قيد حياة، ورب صدفة تهديك أعزَّ الناس هَكذَا الحيَاة يَوْم مَعنَا ويوْم عليْنَا.

وما أشبه الحب بالحرب ننال منها أو تنال منا، فيغدو كل ما فينا دمار لحين الانبعاث من جديد حين نعي وندرك أنّ الحياة لا تقف عند أشخاص ومواقف بل تتخطى وتستمر فلا تدع عقارب الساعة تأكل عمرك.

الخيانة

صفعة على القلب تأتيك بتوقيت الخيبة، حين تسلّم قلبك لأحدهم طوعًا إيمانًا وثقة بإنسانيته باسم الحب، تزرع له في القلب ألف وردة يبول عليها فيحرقها ويلوّث أريجها، هو الذي سمحت له أن يطأ بقعة في القلب محرمّة على غيرها فيتعفن بها بجرم الخيانة.. الخيانة يا سادة درس مرّ، درس لن تعود بعده بألقك الذي كنت عليه، تتغيّر قسرًا، تهاجر طيور الحب فجأة ويحل محلها غربان يتلذوون بالنحيب، يصبح ليلك أطول، تحتضن روحك الجريحة، لن يفهم أحدهم بوحك مهما حاولت، وحدك تعاني، تئن، تنتفض، تغرق بالدموع، ثم تشرق شمس التحرر بأعماقك، رغم تلك الجثة النتنة التي لن تفارق قلبًا أحب بصدق، تنهض من ركامك، تتصالح مع نفسك وتدرك أنّ قلبك كان مسرحًا لمهرج ماكر، خدعك بألوان الطيف، حتى استسلمت فذبحك بسكين الخيانة ورحل، وقد يأتي مرج جديد، لك القرار في أن تختار زوار قلبك، تعلّم أن لا تتعلق، أن تحب هونًا وتبغض هونًا فالقلوب متقلبة، تعلّم أن تحب نفسك فتكرمها كي لا تكون الخاسر في كل مرة!

لَوعَةُ أَيلُول

أيلول الحزين، ينوح برياحه البائسة فتجف أوراق العمر، تصفرُّ وتسقط ويسقط معها الكثير من الوجوه، عاد أيلول وأحضر معه الوحدة والحزن، يكبرُ فينا الشوق فتبعدنا المسافات آلاف الكيلومترات..

إنّها السنة الأولى على الغياب، غياب أطفأ شمعة الروح فكيف أشعل له الشموع؟!

سنة على الوجع والحزن أقتات الهمّ، لا حب، تغدو الكلمات بلا معنىً مهما ألبستها من أثواب البلاغة والكناية تبقى عارية، أكتب في غربتي فيزداد البرد بردًا، وتقل وحدتي، تحاصرني أنت ويمر الوقت.. صرتُ دونك، كل شيء صار ضباب، وجوه كالحة لا تعرفني، تزداد الأسئلة حيرة وإبهامًا، يراودني الحلم، أسمعك ولا أرك،

أبحث عنك في عالم مجهول، أَمشِي فِي الشَّوارع المزْدحمة أَطرَق الدَّوْر القاسية، علّني أراك خلف أي باب!

باردة يدانا.. أمسك بك فيسري الدفء بين العروق، تعلم أنّني أحبها فتشتري لي الذرة الساخنة، في الليل.. أحلم بعينيك، تضيء عتمتي فلا أغفو، يحلّ الفجر وتنتشر الشمس فتتلاشي؛ لأعود للبحث عنك، أبحث في كل الوجوه، في صور تخزّنها ذاكرة هاتف، هُنَا وهناك،

في الطرقات وعلى جدران الشوارع، حيث خطت عهدًا يداك، في صفحات الدفاتر علّي أراك، في كتبي التي ألتهمها مع قطرات المطر ساعات المساء..

تطرق كلماتك رأسي مع دقات عقارب الساعة التي تأكل عمري، تك تك .. تك، أنت برأسي تدق، قلبي بسرعة يدق، الساعة تدق تنبئ بالمجهول، وانتظار قد يطول.

أبحث عنك حتى إذا تعبت قدماي، ونثاقلت خطاي عدت أكتبك شعرًا، أكرره كما تتكرر كلماتك في سمعي، أرثي حبي الضائع، وعالمي الحزين.

أطعم الأشياء لهاثي حتى أتعب وتكتفي، فليست لمثلي الحياة!

سأموت وأدفن في مقبرة بعيدة، فاترك يدك على ترابي لأشمّك، وانقش على شاهدة قبري حكاية حبنا.

هُدُوء اللَّيْل

بتوقيت العذاب يسكن الليل، وفي ثوب السكون تختفي الأحلام، تكبّل عقارب الزمن،

وَترجع أنت فَجْأَة، تقفز للذاكرة وتمثل أمامي.. يأْتيني ظِلُّك فِي شُعَاع شَمْس، أأنت غَفوَة مَارَّة؟ أم طَيف حضر مع نَجمة لَامعة؟

تروقني الآهَات والْعذابات، اخْتَفى فيك وَفِي حضْنك الدَّافِئ، كَأَنَّك لَم تغِب أبدًا، كأنَّ حَرارَة الشَّوْق مَا زَالَت تسري في جَسدي، فأتَمَنَّى أنَّ لَا تَترُكني أبدًا، ألا تكون مُجرَّد طَيْف فِي أَحْلامي وَلكِنّ غيابك يفرض الاحتلال على روحي، يقضّ مضجعي ويبدد هدوئي، فأي هدوء يدعيه الليل؟

حُبٌّ قديم وَحاضِر مُمزَّق

من أجل الحب نموت، عبارة تتردد على ألسنة المحبين الذين يكابدون ألم الحب، فقد قال أجدادنا: الحب بلاء والعشق سم قاتل، بحروف قليلة يعبرون عن حالة نعيشها تشقينا بقدر ما تشقينا، ولأسباب لا يمكن فهمها يكتب للكثير من قصص الحب أن تنتهي، ثم تضع الحياة في طريقك من يدخل حياتك صدفة قد لا يستهويك ولا يحرك مشاعرك للوهلة الأولى إلا أنك حين تغوص في أعماقه تجد كنزا من المشاعر فلا تستغني عنه وتكتشف حبًا حقيقيًّا ينتشلك من هموم الحياة وضغوطاتها، عنده تجد الحل والراحة والسكينة التي تنشدها وهنا تبدأ الحكاية:

في منزل فاره لعائلة مترفة تعمل فتاة من عائلة بسيطة لتأمن قوتها وقوت عائلتها الفيرة التي تعيش في الأرياف، فتاة معطاءة نشيطة تعمل بصمت لفتت ابن العائلة الشاب الوسيم المدلل لتولد قصة حب صادق رغم ظروفه الصعبة، علاقة محموم عليها بالوأد قبل أن تولد، وكان كل يوم رصيد هذا الحب يزيد في قلب شاب نفض عنه قديم الزمان ليعيش حاضر مستقبل مجهول سيخوض غماره بضنك وأسى. ولأن للحب علامات لا تخفى، أدركت الفتاة مشاعر الشاب من أول نظره، تحصنت بالصمت وفي جوفها حريق ينشب في الأعماق.

لم يطل الحال كثيرًا، فسرعان ما عرف الأهل بِعلاقتهمَا فكان نصيب

الفتاة الطرد من المنزل لتعود إلى أسرتها تكابد الفقر والقهر والحرمان.

أما الشاب فثار على الظلم ولم يمر يومان حتى لحق بها عاقدًا العزم أن يبذل كل ما في وسعه ليستعيد حبه المرفوض، فهو لا يرى من جمال دنياه المترفة سواها.

طرق بابهم بعد طول سؤال، ووضع القصة في حروجهم طالبًا أن يلبوه حتى لو تطلب الأمر أن يعيش بينهم.

وقف أخوها بوجهه رافضًا ليس ظلما إنما لأنه أمر غير مقبول في عقيدتهم، كما أن الشاب لن يحتمل ضنك عيشهم.

قَال اَلأَخ: لَا تَستطِيع أن تعيش مَعنَا لِأَنَّنَا فُقَراء، نحْن نَزرَع الأَرْض ونحْرثهَا، ونربِّي الأَغْنام والْأَبْقار، وأَنْتَ لَا تَستطِيع أن تَفعَل هذَا كُلُّه وأَيْضًا طَعَامنَا يناسب مذاقك يا ابن الأغنياء.

أبدى الشاب إصراره على العيش بينهم، وطلب أن يختبروه بالسماح له بممارسة طقوس حياتهم بتفاصيلها.

اشترط عليه أهلها أن ينام على القش عند الماشية (الأغنام)، في حين كان يأكل معهم طعامهم الحارّ الذي لم يعهده من قبل، بل زاد الأخ الفلفل ليزيد الاختبار، وفي كل مرّة كان الشاب صابرًا مستمتعا بالتضحية لأجل حبّه، أما الفتاة التي كانت في السنة الأخيرة من دراستها في الكليّة، نجحت وحان

وقت الاحتفال بإنجازها العظيم فحلّ الفرح القرية احتفالا بها وانهال ما لذ وطاب من الطعام وحسن المديح والكلام. مرّ وقت طويل وهم على هذه الحال، بانتظار فرج قريب، وهي في الطريق إلى البيت تعرّض لها مجموعة من المشرّدين، وما إن أطلقت نداء الاستغاثة حتى وجدت حبيبها المخلص وأخاها خلفها ينهالون عليهم بالضرب الذي تسبب بمقتل أحدهم في حين فرّ البقية بجروحهم.

وقعت الطامّة وصارت بين نارين أحدهما سيتحمل وزر الجريمة، فتعهد بها الأخ ليحافظ على حب كبير، وبالفعل دخَل السِّجْن فترة من الزمن لم تطول إذ أعتبر دفاعا عن النفس، وانتظر الحبيبان لحظة الإفراج لتكون الفرحة فرحتين، وأعلنا زواجهما بزفاف تحدّث عنه الناس، وحب ثبت أمام عقبات الحياة وانتصر، وخلال كل ما حدث لم ييأس الشاب من محاولات استرضاء أهله وإقناعهم حتى كانوا بين الحضور قابلين بها عروسًا لابنهم مباركين ذلك الفرح.

لِفتْرة من الزَّمن وبعْد خُروجه مِن السِّجْن فَوجَد أُختُه وحبيبهَا لَم يفْعلوا حَفْل الزِّفَاف حَتَّى أنَّ خرج فافْتَخر كثير بِأخْته وَزوجِها ودامتْ السَّعادة لِلْأبد.

قصة قد تبدو خياليّة إلا أنها في صميم وواقع الحب المجنون، والإخلاص في زمن الخيانة، والصدق في زمن الزيف والكذب والمصالح، بالحب تذوب الفوارق بين غني وفقير، صغير وكبير، بعيد وقريب، يتوحّد الحال بنداء الروح فتذوب كل الحواجز.

ماذا لو عاد معتذرًا؟

جملة سمعتها يومًا، فكررتها في ذهني ورسم خيالي الإجابة عبر شريط من الذكريات، حقًا.. ماذا لو عاد معتذرًا؟

أجاب قلبي: لطلبت له فنجان القهوة التي لا يحبها، وأحسنت استقباله، ثمّ سألته: ذكرني بك؟ فالوجوه العابرة تتغير ملامحها، لا أتذكر أنني أعرفك!

قد يدافع عن نفسه.. قد يبرر حينها فأقول له:

رفقًا بنفسك أيّها الغريب، فبعض الفرص لا تعوّض، بعض الفرص إن ذهبت لا تعود، فبأي حقّ تراك تعود؟!

سأصمت وأشير بأصبعي لمكان الرحيل، فعد من حيث أتيت لا مكان لك لدي.

سأنهي الحديث: كل من ذهب بإرادته، بات ضيفًا غير مرحب به إذا أتى، آثار أقدامك أخذت الكثير من عمري وروحي حتى محوتها.

سأهمس بأذنه:

لَلَمَ بقايَا كرامَتك وارْحل، فكِبْريائِي أَطَاحَ بِهَا أَرْضًا، وكثير عليك ما أخذت من وقتي الثمين، أما فنجان القهوة فلا يليق بك، هو واجب على الكرام وأنا أكرمت من أهان نفسه، فاتركه وغادر ثمّة من أحق منك به.

بصير القلْب يرى حتى لَو أَغمَض عَينَيه

بالغوا في إحباطنا، ورددوا على مسامعنا «مستحيل»، كلمة تهدم فينا كل جميل صنعه الله، لكنَّنا تحديناهم حين تحدينا أنفسنا، حتى أثبتنا لهم أنّنا نرى ما لا يرون، فرضنا أنفسنا على مجتمع ما كان يخسر لو احتضننا، لم نكن ننتظر من أحدهم أن يمنح أحلامنا وطموحاتنا الموافقة، اضطررنا للغوص في بحر الآلام نجترها بصمت لنصل رغم كل المعيقات والظروف.

بهذه العبارات تحدّثت «نرمين الكوني»، نرمين فتاة من ذوي الإعاقات البصريّة ومعها ثلاثة أشقاء لم يروا النور لكنَّه تدفق بين جنباتهم.

في مدينة نابلس ولدت نرمين، بعمر الثلاث سنوات أرسلتها أسرتها إلى مدرسة هِيلين كِيلر الخاصَّة بالمكْفوفين، هناك تعلمت لُغَة بِريل، وأمضت مرحلتها الابتدائية، حتى التحقت بمدرسة حكوميَّة بعمر الثالثة عشر.

في المدرسة كانت المكفوفة الوحيدة بين الطالبات، ولك أن تتخيل حجم الصعوبات في التعلم بمدرسة لا توفّر الكتب بلغة بريل التي تعلمتها، كان من السهل أن تتخلى إلا أن وجود صديقات متعاونات حولها ذلّل الصعوبات، حتى تخطت تلك المرحلة بعزيمة وثبات لافت.

في تلك الفترة نضج صوتها الداخلي الذي نبتت بوادره في مدرسة

هيلين كيلير دون أن ينتبه أحدهم لموهبتها، فظهرت موهبة الغناء وسيلة للتعبير عن خلجات نفسها، حينما اعتلت مسرح المدرسة، ثمَّ اندمجت نرمين الجميلة مع اَلكثِير مِن المؤسَّسات فِي مَدِينَة نابلس كالاتحاد العام لذوي الإعاقة والتحقت مع مجموعة من زميلاتها في دورة غناء وأنتجوا «فيديو كليب» لِأُغْنِية "اِحْنا مِثْل كُلِّ النَّاس "، وكانت هي بطلت هذا العمل بصوتها العذب الممزوج بأحاسيس فتاة لم تنر النور لكنّها تنشره في كل مكان تكون فيه.

في مركز يافا الثّقافي انضمت لدورة في الإعلام لمدّة سنتين تعلّمت الصياغة الإعلامية وإجراء المقابلات وكتابة المقالات، تنتقل رويدًا رويدًا للاندماج في مجتمعها، سافرت إلى إيطاليا ممثلة عن فلسطين في برنامج الربيع العربي، كما شاركت في المهرجانات الوطنيَّة.

وكانتْ مُشَارِكَة فِي المهْرجانات الوطنيَّة لا تترك مناسبة تفلت منها، لتثبت قدرات عجز عنها المبصرون، كما غنّت على دُوَار المدينة فِي اَلعدِيد مِن المناسبات الوطنيَّة، أنْهتْ المرْحلة الثَّانويَّة العامَّة بِمعدَّل أربعةٌ وسبعون بالمئة فِي الفرْع الأدَبِيّ، وأنْهتْ دراستها الجامعيَّة أَيْضًا في تَخَصُّص عِلْم الاجْتماع، وخلالها سافرتْ إِلى اَلكُويت لِتمَثِّل فِلسْطِين فِي مُلْتَقَى المكْفوفين العرب مع مُلتَقَى البصيرة الفلسْطينِيّ وَكَان هُنَاك مُسابقات في الشعر والثقافة، تجارب أفادتها كثيرًا وطوّرت شخصيتها، لتلتحق براديو حياة نابلس في مدينة نابلس كمتدربة تختبر ما تعلّمت، وتضع نفسها على

المحك، يدفعها الشغف وتقف وراءها عائلتها الداعمة والمساندة بحب.

الأم كان لها عظيم الفضل في نشأة ونجاح نرمين، أعطتها الأمل والثقة بالنفس، وشحذت إرادتها وعزيمتها، هي التي كانت تحملها على ظهرها أيام الانتفاضة لتوصلها لمدرستها الدّاخليَّة، ثم تعود لتأخذها منها، حين نجحت في الثانوية لمست الفرحة في وجوه أهلها، تحسست دموعهم فرحًا بها.

ولأنَّ النجاح يولّد النجاح، لم تكتفِ فتَمكّنَت مِن أن تَكُون عُضْوًا فاعلًا في مؤسسة الاتّحاد اَلْعام لِذَوي الإعاقة وَجمعية مَركَز مديد، ومرْكز يَافَا الثَّقافِيّ ومرْكز فرح، كلّ هذا ترك لها بصمة أمل ولكلّ من دعم وساند خطواتها في تقّدم ما كانت لتحرزه لو وقفت عند قدرها، رغم صغر سنّها باتت معروفة في مجتمعها، ناشطة في كل الميادين، تتلقف الشكر والثناء والمديح الذي كان ولا زال وقود المرحلة.

في فضائية النجاح كانت لها فرصة تقديم برنامج «ذُو الهمم" تستضيف فيه ذوي الإعاقة المكافحين وأصحاب النجاح، ومَا زَالَت مُسْتمِرَّة تفْرض نفْسهَا على المجْتمع وفِي قلْبهَا نور أقوى من نور العينين، نور ترى فيه الحب والأمل والتفاؤل لتضيء الطريق لمن حولها، ترافقها الإدارة والثقة بالله لتغيّر فكرة مجتمع كامل قال يوما «مستحيل» مثبتةً قانون» لَا يَأْس مع الحيَاة ولَا حَيَاة اليأْس"، وتتّخذه شعارًا للقوة والمثابرة والإقدام حتى النجاح اللامتناهي.

عِتَاب مع نَفسِي

لا أحد يبقى من أجلي.. هنا أقف أمام نفسي، أنظر للمرأة فأراني، أعاتبني على كلّ المعارك التي أقحمت بها نفسي، معارك بلا أسلحة ثمنها جراح أثخنتني، تحضر كل العذابات تجتمع عليّ، فأتجمّد.. ما كان ذنبي؟

أيغدو العطاء ذنبًا؟ لا أحد يبقى لأجلي بل يأخذون مصالحهم ويمضون دون التفات، أخيرًا أَدرَكت أَنّ النّهايات أصدق من وهم البدايات، يأتون بتوقيت الفرح لكنّهم يذهبون، فأجدني مضطرة لتغيير نَظرَتِي لِلْحيَاة، أنهض بقوة فدولاب الحياة أسرع من ردود أفعالنا، إذا لم ننهض ستدوسنا مثلهم وتمضي، لا تنتظرنا الحياة لنلمهم أشلاءنا، كل من يستسلم لقيد الماضي يعيش الألم ويهرب منه المستقبل بعيدًا، فلا تلتفوا للوراء وركزوا أنظاركم حيث تسوقكم الحياة، علّ شباكًا جديدًا يطل على السعادة فيكون لنا منه نصيب.

قَررَت أن أتأقلَم مع هَذِه الحيَاة، فنحْن نَحيَا ونحْن أَموَات، وَفِي النّهاية عَلِينا التَّظاهر بالنسيان، ونصاحب اللامبْالاة في باقي الطريق.

مُعْجِزة في زمن العجائب

نراه وحشًا في البعيد، نخشى ذكر اسمه، وتعتصرنا الشفقة إن رأينا ملامحه على جسد ما، نعامله كمرض مُعْد، مجرد ذكره يزلزل الأركان، نلمّح به دون تصريح، وإذا رأينا إحدى ضحاياه بدأنا نعدد مَحاسِن المصاب، وَكَأَنَّه أَضحَى ميّتًا وَهو على قيد حياة، إذ نتوقع أن يقضي عليه وحش كامن بأعماقه، بل هُو اَلذِي يَرقُد مُنتظَرا خُرُوج رُوحه لَا أَكثَر.

السرطان.. استقر بذهني أنّه كاسر لا شفاء منه، هُو مُحتَل مُقيم بِالْجَسد وَإِن غَابَ عَنْه فلَا بُدَّ لَه مِن اَلْعَودة، وأنَّ النِّهاية الحتْميَّة لِهَذا المرض المَوْتِ، فالنَّجاة مِنَّه مُحالَة، والتَّخلُّص مِنْه طريق مَخفُوف بِألم لا يُوصَف، لا خلاص منه فزمن العجائب انقضى.

بات الشِّفَاء منْه حَبْلًا مَقطُوعًا مِن الأمل والرجاء، هَكذَا كُنْت أرى السَّرطان، دَعُونَا نَتفق بِأنَّه مرض جعلنا منه وحشًا مرعبًا يميتنا خوفًا، يغدو المصاب قاربًا مثقوبًا في انتظار أن يبتلعه الماء، طالما حمدتْ اَللَّه أَنَّه لَا يُذكَر حَولِي إِلَّا فِي قِصص النَّاس وأخْبارهم.

حتى جاء يوم مشؤوم، لا فرار منه، فرأيته يستقر بجسد أخي يخطِف منه وهج الحياة ويهدد برحيل فرد مِن عائلَتِي، حِينهَا أَدركت أَنَّ القصص اَلتِي تَجنبَت سَمَاعهَا يوْمًا سَتكُون اليوْم بِقرْبِي، سأعيشهَا مع

أَشخَاص هم سكّر الحيَاة.

ذَلِك الوحْش اَلذِي أخافَني اِسْمه مُنْذ زمن، وَكُنت أَهرُب مِن أحاديثه كالهارب مِن ضَرَبات الحرْب، أَصبَح الزَّائر غَيْر المرْغوب فِيه مُتَّخذًا مِن جسد أَخِي ملاذًا آمنًا لَه.

عِنْدهَا أَصبَح مِن الضَّروريّ أن أَوقَع مع ذَلِك الوحْش اِتّفاقيَّة سَلَام، كَأَنَّه أَمْر عَادِي جِدًّا، وأن اِسْتلْطف زِيارَته الفظَّة تِلْك، لَيْس مِن أَجلِه بل مِن أَجْل مِن أحبَّ.

فجْأَة وَمِن غَيْر سَابِق إِنذَار، أرى كُلُّ الأفْكار السَّابقة المخيفة تَتَلاشَى وَاحِدة تِلْو اَلأُخرى، ذَلِك لأَنه يَصعُب علينَا تَخيُّل أيّ مَكرُوه يُصيب مِن نُحِب، وَرُبمَا أيْضًا لِأَنَّ اَلأُمور عن بُعْد تَكُون أَكثَر إِخافة مِمَّا هِي عليْه فِي الحقيقة، فمَا إِن تقترب مِنَّا نرى حَقِيقَة حجْمهَا.

استنتاج أراحني قليلًا، لأَنه هُو اَلوحِيد اَلذِي يَمُدنَا جميعًا بِالْقوَّة اللَّازمة لِتجنُّب السُّقوط فِي مُسْتَنْقَع اليأْس، فتَكُون قُوَّتنَا مُعَينا لَنَا وَلمَن نُحِب.

رحلة مواجهة المصير، نتسلح بالقوة والأمل بالله، مدفوعون للتخفيف عمّن نحب، فإن عجزنا عن العلاج لن نعجز عن تقديم الدفء والحب، علّه يغني عن الأدوية ويصبح إكسير حياة أجدى من أي دواء بشري يخط آثاره في أجسادنا.

نتحول مصابيح أمل، نُساندهم ونقنعهم أَنَّه لَا مَجَال للسُّقوط، وأنَّ الفشل والاسْتسْلام كلمات لَا تَنتَمِي لِقاموس الحيَاة، وأنَّ مِن دبّ فينا الروح هُو مِن لَم يُقرِّر التَّحَدّي، مِن ضَعفَت رُوحه قَبْل أن يهرم جَسدُه، هُو مِن لَم يَزرع زُهُور الأمل فِيمن حوله، يزرع قوة ويعتني بها لِتزْهر وتبْقى. عنْدَمَا أرى مَشاعِر الخوْف الممْزوج بِالْقوَّة قد رَسَمَت خَارِطة فِي أَعيُن مِن نُحِب ونتأَلَّم، يُصْبح التَّفْكير بِكلِّ مَا كان مُعْتقِدًا مِن قَبْل، مِن المحرَّمات.

تخجلنا فكرة الاستسلام، لا وقت للضعف، حينها يبرق الأمل في عيون مصاب فيغلب الوجع، نَحْن وَهُم نَعلَم أنَّ الألم كبير لَكِن الأمل أكْبر، وَاثقِين أنَّ الانتصار دائمًا للأقوى.

في رحلة الصمود تلك نراهم يتقدمون في القتال، فتصغر الخرافات بأعيننا، خرافات توارثْناهَا جَاهلِين بِمَا حمَّلنَا مِن أَفكَار، مَخاوِف نَسَجتهَا عَجائِز لَم تُخْبِر التَّطَوُّر والتَّقدُّم الطِّبِّيَّ، وَمِن لَم يمْلكوا ثَقافَة الأمل تِلْك الثَّقافة الَتِي يَجب أن تكبُر مَعنَا ونزْرعهَا فِي أَروَاح أبْنائنَا، لِيكونوا قَادِرين على مُوَاجهَة كُلِّ مَا يصْفعهم، لِيتمكَّنوا مِن رُؤيَة مَا هُو جميل قَبْل التَّذَمُّر والاسْتسْلام.

نقتل نَظَرات الشَّفَقة الَتِي تَلُوح فِي الأجْواء، تَدفَع أَخِي لِلتَّفْكير فِي مُوَاجهَة النَّاس أَكثَر مِن مُوَاجهَة المرض، والتَّفْكير بِوسيلة لِرَفض هَذِه النَّظرات الجارحة، ولَا يَجِد أمامه سِوى التَّزَوُّد بِالْقوَّة، يُصْبح مِن

الضَّروريّ أن ندعهم وشأْنَهم، يتكفَّلون أُمُور ذَاتِهم، هذَا هُو الأفْضل لَهُم. في الوقت الذي شرعنا أسلحتنا لمواجهة مرض يهاجم فردا منا، تأكّدت أن لكل مريض حياة يتابع مسيرتها، لا تتوقف إلا بإرادة الله، لحظة معرفته بالمرض كانت كارثة كبرى صغرت حين وجدت قواعد القوة منصوبة للمواجهة، وأن ألم جرعات الكيماوي، لَا تَمنعُه مِن مُوَاصلَة الفرح، أنَّ الشّعْر اَلذِي يُفْقِده يزيده جمالًا، علاجٍ نفسي لا تعوضه حقنة صنعها بشر أو حبة دواء، علاج يمنحه الحياة يومًا بيوم.

يسير على قدمين من حديد نحو جرعة مؤلمة، كان لابد من التجاوب مع كل ما يحدث، وأن نصلح الخرابات الصدئة، أن نتخلص من شوائب عكرة تقتلنا إن لوحنا بالاستسلام، حينها قَرَرت أنَّ أَفتَح كُلِّ الأبْواب المُوصَدَة على أَخِي، وأن أُصَادقَه وأصالحه، ما أعظم المواجهة اَلتِي تُظْهِر جَمَال أرْواحنَا، وَتظهِر زُهُور حَدائِق قُلوبِنَا وَجَمال ألْوانهَا، آمنتْ أَنَّ هذه الأحداث والتحديات تجللنا لنثبت لأنفسنا ولمن حولنا أننا قادرون على الحياة، وَتَفَجَّر فِينَا طاقات مخْزونة، حين يقتل الأمل ذلك الألم فيتلاشى. اليوم تحرر أخي من كل القيود واتّحد مع ضيفه المشؤوم بصداقة عميقة، خبيث أراد الاستقرار بجسد شقيق الروح يَتطفَّل على أحْبابنَا وقد يَسلُبهم.

هذَا المرض لَا يَتَمَكَّن إِلَّا مِمَّن ضَعفَت أرواحهم، العاجزين عن اكتشاف الحدائق في أعماقهم، نعم في قلب كل منا حديقة تزهر إن

تعهدها بالرعاية، وتذبل حد الموت إن أهملها، خُضنَا تَجرِبة مَنَحتنَا اَلثقَة لِمواجهة مَا هُو أَكبَر، ليعود الضيف الثقيل منهكًا من عزيمتنا.

الصَّداقة

أتعلم عندما تتعثر فتجد يدًا ممدودة لانتشالك؟ أترى حين يغمرك الحزن وتذرف الدمع فيجفف أحدهم دمعك؟ وحين تبوح لكاتم سرّك مطمئن البال؟ حين يتكلم فتتضحك، وتضحك فتجد صدى ضحكك قهقهات تتردد في الأصداء؟ هذا هو الصديق، والصديق الجيد رزق من الله، كم جميل أن تجد من تثق به، لكن الأجمل أن تجد من يثق بك، يرضاك بسيئاتك قبل حسناتك، يحبك دون قيد أو شرط، ينصرك ظالمًا أو مظلومًا بأن يردك عن ظلمك، حتى لو كان هذا الظلم لنفسك!

الصديق هو كنزنا المفقود، نبحث عنه في كل زمان ومكان، علاقة بين الأخوة والحب تجمع بينهما بعدل قاطع، إلا أنّ ميزان الثقة إذا مال أوقعك في مطب، كيف ذلك؟

حسنًا، قد يمر بحياتك شخص تظنه صديق، له وجه تراه ونثق به، ووجه مظلم مخيف ينصب المكائد ويحيك الضغائن، هو عدو بأثواب صديق، قد تنطوي عليك الحيلة، وتنجر للزيف تظنه ذهبًا وهو حديد صدئ، يدخل حياتك يعقدها ثم يخرج منها تاركًا فيك كسرًا لا تجبره الأيام، ثم تدرك أنَّ خُرُوج بَعْض البشر مِن حَياتِك كان نِعْمَة مِن اَللَّه عزَّ وجلَّ، وليْس نِقْمَة كمَا تظن، كان درسًا قاسيًّا ورسالة سماوية وكونية ليوقظ فيك أمرًا عليك أن تفهمه.

وتبقى المواقف والأيام ميزان الصداقات الحقيقية التي تتبلور كلما مرّ عليها الوقت، تخطئ فيتغاضى، ثم تخطئ فيغفر، ثم تخطئ فينصح، يدرأ عنك استغابتك، ويذكر محاسنك، يفهم قيلك ومقالك دون أن تنبس ببنت شفة، يفرح لفرحك ويسوؤه سوء حالك، الصديق الحقيقي هو العملة النادرة التي تهدينا إياها الأيام.

علاقة عنوانها الصداقة، محكومة بالحب والخير، كلمة تُغنّى على شفاه الصادقين، وترقص على أوتار الإخلاص، لا تعرف عمراً ولا يغيرها ظرف، علاقة مقدسة أساسها راسخ في القلب ومرآتها الذاكرة التي تزرع المواقف لتحصد سعادة في كل حين، فمن وجد صديقًا وفيًّا أمينًا فليتمسك به.

تجربة في الحب

كان فظًا غليظ القلب حتى صادف عينيها، وحدها العين لا تكذب، هي مفتاح القلوب، أقسى قلب يرق حين يحب، ذلك الفظ الصلب لان كحديد صهرته نيران الحب، سألها: أبشر أنت أم ملاك؟

ردت على استحياء: ويحك، أغزل هذا أم قلة حياء؟

اشتاط غضبًا وكسر بعصاه جرة الماء فوق رأسها، فغرق الجسد ورقّت الثياب.

بكت الفتاة وارتجفت، وولت هاربة على استحياء.

عزّ الموقف عليه وكبرت بعينه فتتبع أثرها، حتى أبصر البيت الذي يأويها، عاد أدراجه وغاب أشهر لم يغب فيها ذكرها عن باله، لم تغادره أبدًا، قاوم ذلك الإلحاح في رأسه وهو الذي لم يكسره أحد من قبل، كيف يغدو أسير عينين؟

عاد الرجل مهندمًا مستعدًا لتتويجها ملكة على عرش قلبه، خطب ودها من والدها، وبعد أن أدركوا صفاء نيته وسريرته أجابوه بالقبول، فتم نصيب عنوانه الحياء، نعم حياء النساء مرغوب مطلوب، هو لبّ الحب الراسخ في قلوب الرجال، لا المال ولا الجمال يغني عن شيم الحياء.

فأيتها الدرّة صوني نفسك وتجملي بالعفاف، كوني واثقة رزينة تنبض بالعفة، تهواك القلوب، كم من ذكر يلهث خلف أنثى حتى تستسلم وينال منها فيرتكها كسيرة القلب، ويركض خلف أخرى؟ أما تلك الثمينة يقدّها ويحسب لقلبها ألف حساب، غالية أنت فلا تبخسي قيمتك، خلقك الله لتكوني أرضًا خصبة ينبت منها أطيب الغرس فتعمر الأرض، فيقال بورك الزارع وتبارك جاني الثمر الأصيل.

الانْكسار

مرحلة نعيشها مهما تمتعنا بالحنكة والذكاء، هو طبع البشر يتردد بين القوة والضعف، بين الطيبة والخبث، بين الخديعة والانخداع، في ظل الوجوه الزائفة والعلاقات المزيفة، والسموم الاجتماعية لا بد أن نقع في مطب الانكسار، نكسر حين نخان، نكسر حين نهون، ونفقد، ونتعلق، نكسر حين نفشل ونحن التواقون للنجاح، إلا أن القوي وحدة الذي يتشبث بأطراف الحياة ويخرج من حفرها سليمًا قويًّا، وكم من محنة غدت منحة بالصبر والثبات، لا تتوقف الدنيا عند حدث أو أحد، تواصل الشمس إشراقها بعد كل ليل مهما طال، ويتنفس الصبح بعد ظلام خانق، حين تتسلق الغصات حلقك استجمع قواك، ابتعل آلامك واجعلها الداء والدواء، انهض وقاوم وأكمل، لكن قبل كل ذلك، حدد من تكون، اسأل نفسك من أنا. لم خلقت؟ ماذا أريد في رحلة مدتها سبعون أو ثمانون عامًا إن كتب الله لي العمر؟

اعرف هوية إنسانيتك، أنت لست صورة وجسد، أنت كيان وآية الله في الأرض، خلقك فسواك فعدلك، فكيف تميل؟

نولد كلنا من أم وأب، نأتي من أرحام شاء لها الله أن تثمر، فكلنا في عرف الله سواء، فمن ذا الذي يكسرك وهو مثلك وربما دونك؟

لا تنكسر إلا بين يدي الله خوفًا وطمعًا وخشوعًا، ارتقِ فوق آلامك وواصل الحياة ففيها ما يستحق أن تستحثك لتترك أثرًا لا يزول، وأنت عزيزتي المرأة، أنت أثر الفراشة، لا تحرقي جناحيك ظلمًا، ما أكثر الذين نظنهم نورًا وهم نار، لا يليق بقلبك الذل والانكسار، جعلك الله سببا لدخول الجنة «بنتًا»، وجعل الجنّة تحت قدميك «أمًا»، وجعل الرحمة والرزق في دعواتك ورضاك «أختًا»، فلا تهني ولا تحزني، نحن معجزات الله في الأرض، فينا من القوة ما يلين الحديد، وفي الحياة ما يستحق الكفاح فانهضي، لا تتركي نفسك فريسة للانكسار، قدسي ذاتك وأحبيها، امتلئي علمًا وحياة وعطاء، تكونين كوكبًا بين النجوم.

أَكتُب إلى حَبِيبَة القلْب

إلى روح الأحلام الورية أكتب، إلى حَبِيبَة القلْب اُكتُب، إلى رُوح أُعانقها أَكتُب، أكتب والْجراح تأكلني، ضاعت حبيبتي فضاع عمري، فقدتها فتوقفت حواسي، أخذوها مني فمزَّقوا خلايَا جِسْمِي.

كل يوم أمسك قلمي أفرغ فيه دمي والدمع يغرقني، تبدل حالي فذرفت أمي الدموع، ونزف أبي حسرته عليّ، وشاطرني أخي قهري، أستحرضك حين أكتبك وأكتب لك فتحضر اُكتُب أنّات الصَّدْر وتعتصرني بَنات الدَّهْر، وتحفر بَنات العيْنِ خدي، أكتب والْغاصب واقفًا على بَابِي ، لا أدري لماذا يحرسني، اُكتُب والرَّصاص فَوْق حَائطِي اُكتُب وَصرْخَة اَلسجِين تَرِن فِي أُذُنِي، اُكتُب وَحَرارَة الشَّوْق تأكل قَلبِي نار مؤصدة فِي صَدرِي، شرارهَا يَخرُج ويتدَفَّق مِن عَينِي، اُكتُب وطفْل الحجارة يَقذِف حجرًا على الغاصب يُبْعِده عني، اُكتُب وَأُم اَلشهِيد تُزغْرِد في رأسي، اُكتُب وَأُم اَلأسِير تجرع دموعي، حزينة على حالي، اُكتُب لِعروس يَافَا، وفرْحة عَكَّا، وأسوار القدس وبلدتها القديمة، أعترف لها بحبي، أرثيها قبل أن تموت، فهي تعيش في قلبي، تتردد بين أنفاسي، هي وجه أمي، وهل أغلى من الوطن، الوطن الذي ندفع أعمارنا مهرًا لحريته،.

أي فلسطين ..عروسي المغتصبة المرتجفة تحت أقدام العدو، أمجدها

وأرثيها، ترى هل سأعرفها بعد أن غيّر ملامحهَا؟

أشتاق لطرقاتها، لمدنها وقراها، لمخيمها وأزقته المحشوة بالأسى، لنسيم هوائها يداعب خصلات شعري، لوجه يحن علي في الصباح ويهدد تعبي في الليل، لمآذنها تعانق كنائسها، لحمام يرفرف في سمائها يتحّد مع أرواح الشهداء ويباركها.

تبًا لمغتصب حاقد اقتلع زيتونها.

سأظل أكتب لك من الأسر، من خلف القضبان جسدي ومن خلف ضلوع صدري، أزرعك شريانا بالقلب، لن يجف حبر قلم أرويه بدمي، سأظل الوفي لك مهما أكلت عقارب الوقت من عمري في انتظار لحظة أسجد بها على ترابك، أشمه، أقبله فتعود روحي وشبابي المنسي في زنزانتي، تماسكي يا حبيبتي، لن يطول الغياب، سأعود طفلًا على شواطئك، وافترش بساطك الأخضر وألتحف سماءك.

يا بلد الميلاد وَبلَد الأحْفاد، يا أرْض الخيْرات وأم الرجال، يا قضية السماء وعدل الله، سأتحرر يومًا وأشهد تحررك، فأشبالك لا يهدأ زئيرهم يزلزل كيان الغاصبين، يعزفون بالبنادق والرصاص في ليلك بانتظار فجر تزقزق فيه طيور الحرية.

اِختِيار مَا بَيْن العقْل والْقَلْب

القلب صاحب العلامة الأولى في الحب، يعلن ميلاده كما يعلن مؤذن موعد صلاة الروح، ينفعل ويشاغب بين الضلوع كطفل صغير طائش، ربما يسكب الزيت على النار، أو يلقي نفسه بوعاء حار، حين يختار لا يدقق ولا يميز، ينفعل فحسب، قد يغريه شكل أو موقف، قد يحركه عابث فيهلك، فيقع في حفرة تشقيه، يفضي منها إلى دوامة فيضل الطريق.

على هَامِش كل ذلك أحببتك، أضنيتني وأشقيتني وفي منتصف الطريق أفلتَّ من بين يديك يدي، سقطت أقنعتك قبل الوصول فخسرتني، في كل مرة كنت أصدق قلبي، في حين يجلدني عقلي.

حاولت عبثًا إصلاح ما أفسدته، كنت أزرع لك الزهور فتدوسها، وأرسم لك النجوم لتهتدي فتغمض عينك عني لترى بها غيري، ماذا أغراك ومن أغواك حتى هجرتني، وجعلتني مضاع هاجرت مدني عني، كنت عكازك فكسرتني، فأكمل طريقك دوني، واتركني أرمم كسوري وحدي، ولا تعود، إياك أن تعود. أما عقلي الذي أصمته مرات ومرات حين كان ينبهني كي أرعوي، أعميت بصيرتي واتبعت هواك فأضللتني، هي الحيَاة مَدْرَسة نَتَعلَّم على مسارح أيامها، نقتات الوجع فنعرف مرارته، ندرك بعد فوات الأوان

سوء اختياراتنا حين نتحول لجثث تسير فوق الأرض تبعث عن شغاف أرواحها، بينما يرقد سكان المقابر بأمان وسكون، تقتلنا الوحدة في رحلة الحياة ونمضي في دروبها، نتعلم من جريان النهار استمرارية الحياة ونقاءها، ومن تشبث الأشجار انتماءها، ومن السماء عطاءها، ومن الأرض تقلب أحوالها، يضنيك جبل ويريحك سهل ويشفي روحك مشهد بحر، أما الشمس ففي شروقها وأفولها تمنحك الأمل، تستيقظ روحك وتستنير حين ترتشف الْحِكْمة من أخطائك ونتعلم كيف تخْتار، درس يؤدبك ويجعلك تزن الأمور بميزان العقل ولا تهمل القلب، في حب لا يميتك إنما يجعلك معلقًا بين الحياة والموت، قلب يشعر وعقل يوجه فتحيا في جنان الراحة والرزانة برقة قلب ورجاحة عقل.

عِنْدمَا يَمُوت اَلضمِير

أيموت الضمير؟ نعم.. حتمًا بيننا من ماتت ضمائرهم، وفقدوا إنسانيتهم حتى غدو حيوانات ناطقة، تنشر الظلم والفساد بلا رادع ولا إحساس.

هؤلاء يتلذذون بعذابات الآخرين، يتسلقون على الجثث وصولًا لأهدافهم، لا يثير مشاعرهم مشهد طفل مريض يئن لدواء بين أيديهم، ولا إلى امرأة مكلومة بحاجة ليد تربت على كتفها، ولا عجوز وقع على قارعة الطريق بحاجة ليد تنتشل ضعفه، وتعيد له عكازه.

أنانيون جدًا، يقتاتون آلام الآخرين بلا رحمة، تجدهم في كل مكان، يسلبون الحقوق، يقطعون الأرزاق، يسرقون سعادة هذا، ويدوسون على مشاعر ذاك، أفاعي في ثياب بشرية، تبث سمها في كل مكان، هم أخطر من العدو، ينصبون الفخاخ لفرائس مسكينة، يمتصون دمها ويولون هاربين.

فإذا رأيت وصادفت أو قابلت من لا يهمه الناس وظروفهم وأحوالهم، لا تبكيه مشاهد القتل والدمار، من يشعر بنشوة حين يرى مصائب الناس، فإياك أن تتعامل معه، الفظه من حياتك كما تلفظ القطع البالية.

في هذه الحياة خلقنا الله سواء، لا فرق بيننا إلا بالتقوى، وجعل الأيام دولًا بين الناس، وعلى الباغي تدور الدوائر، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، أولئك الذين طبع الشيطان على قلوبهم بحاجة لصحة، لن تصحو إنسانيتهم إلا حين يعود إليهم عملهم، وكلنا بحاجة إلى التَّجَدد، أن نغسل قلوبنا كما نغسل وجوهنا، ونحرص على جمال دواخلنا قدر حرصنا على مظاهرنا، أن نخلق السلام حولنا، نمد يد العون لكل محتاج، نشعر بالناس وأحوالهم، نحب لهم ما نحب لأنفسنا، لا ضرر ولا ضرار، وقتها فقط يعم الخير الذي سيكون لنا منه نصيب.

مَأْسَاة شَعْب

في فلسطين، توأد كل الآمال والأحلام وتسحق الطموحات، ذلك أن الاحتلال الذي تسلل ذات ليلٍ أسود واستقر في حلوقنا، أقام مستوطناته على منابت شراييننا، كسرطان لئيم يأكل كل يوم جزءًا من وطننا.

لفلسطين حكاية تروى بالنوح لا البوح، وتكتب بالدم لا الحبر، قتلوا ما قتلوا من شبابها، فكل يوم تنزف فلسطين أبنائها على الحواجز والطرقات، في الأزقة والمخيمات التي تخنق ساكنيها، بيوت تهدم هنا، وحياة تطمر هناك تحت الركام، أطفال ييتمون، ونساء ثكلى لا تجد ما تتكئ عليه بعد أن سلب الاحتلال زوجها فصارت زوجة شهيد، وابنها فصارت أم أسير، لا معيل لها سوى الله.

في فلسطين لو ينطق الحجر لصرخ من دنس الاحتلال ومستوطنيه، يقتلعون الشجر ويقتلون البشر ويهدمون الحجر، ونحن على عهدنا نقاوم، في لحظة نصبح كلنا حراس لقدس الأقداس وأقصانا، نعتمر الكوفية كرمز يوحدنا، ونرفع راية لا إله إلا الله شعارًا لنا، علّه ينصرنا على حثالة العالم التي تمركزت عنا وصارت تسمى «دولة إسرائيل» زورًا وبهتانًا، ما هم إلا لقطاء جاؤوا من أراذل العالم طمعا بأرض الخير والبركة فلسطين.

فلسطين التي باعها الانتداب البريطاني للصهاينة، وحين رفض الأجداد انتكبت البلاد، شرّد أهلها وتشرذمت جغرافيتها، اقتسم المستوطنون الغنائم في عكا ويافا وحيفا وكل ما بات يطلق عليه الداخل المحتل، وعاش أهل هذه البلاد الشتات في سوريا ولبنان والأردن وتونس والجزائر، وفصلوا غزة عن الضفة، كي لا تتحد فسياستهم «فرق تسد».

ودار السياسيون على أبواب الدول والتحالفات والقوى العالمية لردع هذا الزحف الصهيوني، وظلت القضية ككتلة ثلج تتدحرج حتى صارت قضية العالم الأولى.

مؤتمرات واتفاقيات وقمم تعقد يرتادها أصحاب البدل وربطات العنق وفلسطين تبكي حالها، وترثي أبناءها، تلد وتدفن كل يوم، في مخاض لا يهدأ.

انتفضت فلسطين مرتين، قاوموا بالحجر، فسميت انتفاضة الحجارة وهي الانتفاضة الأولى، تجرع الناس خلالها الذل من قمع الاحتلال، قتل وبطش، أسر وتنكيل، ثم تدخل المجتمع الدولي فهدأت المعركة، وجاءت السلطة الوطنية الفلسطينية المكونة من فدائي منظمة التحرير التي تشكلت في الشتات، تنازلات كثيرة قدمت لتتم العودة، وتشكلت الأجهزة الأمنية، سعد الناس بقدومهم واستبشروا الخير، وعلت الكوفية الرؤوس والرقاب، استقبلوا بالغار والحناء، أهازيج نصر وزغاريد لم تطل

حتى انطفأ وهجها وسكت صوتها، فالاحتلال لا يعترف بحق، ولا يرى شرعية لسواه.

رغم الهدوء الذي عم المنطقة حينها، كان لا بعد من أسر هنا وقتل هناك، وهدم لكل من ثار على الاحتلال وأعوانه، انتظر الناس أن يتحسن حالهم ويطيب عيشهم، لكن هيهات، ساءت الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وعم الفساد، حتى دخل الصهيوني شارون الأقصى ودنسه، فثار الدم الفلسطيني وعلت التكبيرات، دم وشهداء، جرحى وأسرى، انتفضت فلسطين من جديد، لكن هذه المرة لأجل الأقصى، ونضج فيها الوعي، صار المقاومون أقدر على المواجهة، ينفذون العمليات ويصنعون قنابل وصواريخ على بساطها تؤذي العدو وتوقع الإصابات في صفوفه، ولا غنى عن الحجارة السلاح الأول ابن الأرض الذي يذود عنها، خمس سنوات من الضيق عاشها الوطن، ذاق الناس الأمرين، ومن جديد يتدخل المجتمع الدولي، تلك الدول التي تلوح بعصاها متى شاءت فترفع ضغط الاحتلال عنا، تحسن الحال وأزيلت بعض الحواجز، وصار هناك تسهيلات انهال عليها المتعطشون للفرح والاستقرار، ارتبط الناس بالقروض البنكية واشتروا البيوت والسيارات، ودخل الكثيرون للعمل في الداخل المحتل إذ يدفع الاحتلال بسخاء لهم، وصار الفلسطيني يركض خلف لقمة العيش والسداد، وانتشر الفساد بشكل أعمق هذه المرة، كثر العملاء، وتضاءلت المقاومة فمن يرفع رأسه أو يسمع صوته يزج بالجنود أو يقضى عليه.

فلسطين تحت الاحتلال منذ سبعين عامًا وأكثر وكل يوم يزداد الألم، بانتظار جيل التحرير والفرج القريب، فأي مأساة أشد من أن تعيش في وطن مسلوب؟!

امرأة صنعتْ منْ العجزِ إرادةً

بدأتْ عامها الرابع والعشرين.. كانتْ أمُ لطفلتين، تكاد تتحمل مسؤوليتهما، وحين اكتشفت أنها حامل من جديد، جن جنونها، اضطربت واكتأبت، وأرادت إجهاض حملها، شيء ما يلح عليها، لا مجال لطفل جديد، ذهبت إلى طبيب نسائية وتوليد، بكت له وشكت حالها وعدم رغبتها بمسؤولية جديدة، طمأنها الطبيب طالبًا إجراء الفحص، ثم هزّ رأسه وقال، في جوف رحمك قلب ينبض، لا يمكن الإجهاض، عودي لبيتك وتوكلي على الله، ما زلت بصحتك وشبابك، لعل فيه كل الخير.

عادت للبيت مغلَّفة بالحزن، كانت تحس بضيق شديد، تتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعها، أصبحت لا تطيق صوت الطفلتين، تتكوم على نفسها وتنام معظم النهار، ويصيبُها الأرق في الليل، كانت تحس أنّ ما بداخلها ليس بخير، كانت أحشاؤها تتمزق، يوم عن يوم بدأ الضعف يدب في جسدها، تحصي الأيام علها تفضي إلى الخلاص، ضعفت مناعتها وأصابها المرض، فكل عضو يشتكي ألمًا، فلزمت المستشفيات تروح وتغدو من طبيب إلى طبيب، حال لازمها تسعة أشهر مرّت كأنها تسع سنين من العذاب، كانت كل فحوصات الجنين مطمئنة، إلا أن بكاءها المستمر يقول عكس ذلك، حتلا أجاءها المخاض

وحان وقت الوضع، كان ميلادًا عسيرًا استنفذ الأطباء محاولاتهم، إلى أن أطل رأسه وهي بين الحياة والموت تقاسي ألم المخاض سمعت إحدى الممرضات تقول: متلازمة داون، إنه الطفل اسحبي رأسه، هنا ارتجف جسدها وهيَ إخصائيةٌ في مجالِ التربيةِ الخاصةِ للاهتمامِ بذويَ الاحتياجاتِ الخاصةَ، وقدْ فهمتْ ما تهامستْ بهِ القابلاتُ .. استرخت توقفُ الطلقِ، وصار رأس الطفل عالقا بين حياتين، إلى أن تمكنوا من سحب الطفل ووضعه على جهاز الأكسجين، وبدأت رحلة الأسئلة حول مدى قرابة الأب والأم والجينات، وهل تم إجراء فحص الأعضاء أم لا، شعرت أنها بكابوس وأملت أن تفيق منه، العائلة أمام الباب، فهوَ حفيدهمْ الذي سيحملُ اسمُ أبيهمْ المتوفي، لأخيهم الأكبر، هاتفها لمْ يهدأْ الجميعَ يتصل ليطمئنَ عليها وعلى الطفل، كانت بحالة صدمة، صدق إحساسها وخابت آراء الأطباء، هلْ تردُ على المتصلينَ؟ وهي لمْ تر طفلها، صمت قطعه نداء سماعات المستشفى لطبيب الخدج بالتوجه لقسم الأطفال، والقابلات يرمقنها بالنظرات ويتهامسن، حضر الطبيب واستدعى الزوج لقسم الأطفال، تحدث باللغة الإنجليزية التي لا يفهمها الزوج، فجرت نفسها وهي تنزف وقالت للطبيب: لن يفهمك سواي أخبرني ما حالة الطفل؟

سارعت القابلات بإعادتها للسرير يحاولن طمأنتها، استريحي واستجمعي قواك. بدأتْ الأحداثُ شيئا فشيئا تثبت لها صحة ما سمعتهُ، غيرت ملابسها وعادت لترى طفلها، ما زالَ بدمائهِ لمْ يتمْ تلبيسهُ أيْ

قطعةٌ منْ ملابسه، حينها ذهبتْ إلى بابِ القسمِ وفتحتْ مدخلهُ، أهلُ زوجها وأخواتهِ وأمهُ بدأوا يلقونَ بأسئلتهمْ على القابلاتِ، اللواتي أخفين الحقيقة حرصا على نفسية الأم، وحين كثرت الأسئلة والإلحاح صرخت الأم: نعم طلفي منْ ذوي متلازمةِ داون، التفتَ الجميعَ إليها، وحل الصمت، قالتْ: يعني منغولي.

وصارت أخوات زوجها يضربن كفا بكف وكأن مصيبة سقطت على رؤوسهم، التفتت إليها القابلة وقالت:

حسنا إذن ستفهمين ما أقوله، طفلك منغولي، وهو..

قاطعتها بقولها: هذا مجال تخصصي أعي تماما ما رزقت به.

ردت أم زوجها: هوَ في أشي جابلنا الدَورُ غيرُ تخصصكَ؟

أحست المكان يدور بها ووقعت أرضا، لم تساندها سوى أمها، شدّت على يدها وقالت:

قومي يا بنتي، هاد عطية رب العالمين، ولعل فيه كل الأجر، ضمي ابنك لصدرك، هو نعمة.

في الليل ظلت وحيدة، تأكل الأفكار رأسها، تنكر بشدةِ ما يحدثُ حولها، وتحاول أنْ تبقى صامدةً شامخةً لتقفَ أمامَ هذا المجتمع الجاهل، وهي التي لم تكن الابتسامة تفارق وجهها، لا بد أن تعود لذلتها،

مضتْ بعضَ الساعاتِ منْ هذا الليلِ بدأتْ بترتيب أفكارها، توآزرها مكالمات إخوتها وأخواتها التي تطبطب عليها، ما أحوجها لقربهم في هذه اللحظات، فلا أحد يشعر بك إلا أهلك، اجلى الليل وأطلت الشمس تبشر بالأمل والبدايات، في الصباح الباكر كان أهلها عندها، هنيهة وحضر أهل زوجها عابسين، وبدأتْ أم زوجها تلقيَ اللومِ عليها بأنَّ الطبيبَ قالَ إنَّ الإعاقةَ منها هيَ .

التزمت الصمت، وضمت طفلها الذي بدى بوجه ملائكي جميل، يبث الطمأنينة في روحها، وعاهدت نفسها أن تمنحه كل الحب والعطاء النابع من أمومتها، وأن تحميه من مجتمع متخلف.

وبدأ الناس يزورونها مباركين، وما إن يعلموا أن الطفل منغولي تختلف وجوههم وترسم الشفقة، إحدى قريبات زوجها قالت: لازم تعملوا فحص DNA إحنا ما بنخلف معاقين.

أصابها الذهول من وقاحة ما سمعت، لتبرر تلك قولها: يمكن تبدل بالمستشفى!!

هنا أدركتْ كمْ سيحتاجُ هذا الطفل منْ طاقتها ليكونَ قويًّا، بدأتْ بالتفكيرِ كيفَ توظف تخصصها بمساعدة نظراء ابنها لتغيّر نظرة الناس لهم؟

وهنا كانتْ نقطةُ البدايةِ، أنشأتْ تطبيقًا إلكترونيًّا أسمته « أحلامِ

الداونْ down dreams" لدعم ذوي متلازمة داون، ترسم من خلال صورهم حالة من البراءة والفرح، ووصل موقعها كل بيت، وتهافتت الاتصالات عليها من أهالي هؤلاء الأطفال، ونجحتْ في دعمِ أمهاتِ أطفالِ هذهِ الفئةَ ومتابعة أطفالهم، والعملِ على تطويرهم، وصارت خبرتها أعمق من خلال تجربتها مع طفلها الجميل.

استطاعت أن تنهض من ضعفها، وتوصلَ رسالة إلى المجتمع، أنَ الإعاقةَ لا تعيقُ أيَ شخصٍ كانَ، بالتصميمِ والإدارةِ والحبِ والإيمانِ باللهِ نحققُ الأهدافُ برغمِ الصعوباتِ.

إرادة وعطاء

ثمة مواقف في الحياة قدرية أو اختيارية تحطم روحك، تكسر نفسك وتحولك لشظايا، برغم الوجع الذي مهما تجاوزته سيترك ندبات هناك في زاوية عميقة فيك، يأتي وقت تنهض، تلملم شتات روحك وتقرر مواصلة المسير، إنها الحياة، لا تترك أحدًا إلا وتختبره، أحيانًا يكون الاختبار بسيط تحرم من أمر إلى أن يشاء الله ثم تناله، يصيبك مكروه تصبر عليه ثم يزول، تفقد مالا، أهلًا، أصدقاء فيعوضك الله ويداويك بالنسيان، لكن بعض الابتلاءات أثرها يرافقك ما حييت، تولد معك وتموت معك.

في محطة حافلات الجامعة، تهامس شابان: وين رايحة هاي؟

ضحك الأخر: وين يعني.. على الجامعة.

رد عليه: أف ..على الجامعة؟ تروح تقعد بالدار أحسن شو بدو يطلع منها هاي؟!».

تردد كلامهم بأذنها، وهي تحاول صعود الباص، لم تكن المرة الأولى التي تتعرض بها للتنمر بسبب قصر قامتها، الذي ولدت به بسبب نقص في الكالسيوم، ورغم كل ذلك، كانت ترى نفسها جميلة، رؤية غرستها بنفسها أمها التي ناضلت من أجل أن تجد حلًا طبيًا وعلاجا لحالتها دون

جدوى، لم تيأس طيلة ١٦ عامًا، تنتقل بها من طبيب إلى طبيب، وما إن سمعت بوجود طبيب روسي في منطقة بفلسطين ركضت إليه وعرضت عليه حالة ابنتها، ليخبرها أن الحل الوحيد هو كسر العظم وإطالته وهي عملية مضنية، خافت الأم أن تخسر تحرير قدرتها على المشي وتعيش مقعدة طيلة حياتها، ففضلت أن تتحرك وتكتشف الدنيا حولها حتى بقامتها القصيرة/ لم تسلم يومًا من تعليقات الناس وإحباطهم لها، إحداهن تقول ساخرة: «لليش دايرة فيها من دكتور لدكتور؟، بدك تجوزيها يعني؟، وأخرى تشعرها بأنها ابتلاء وعليها أن تصبر عليه، يدعون الفضل وهم لا يعرفونه.

تلك الأم بعطفها وحنانها غرست بقلب ابنتها أنها أجمل الفتيات، خلقها الله وجعل لها رسالة سامية ستصلها ذات يوم، لذا نشأت تحرير وهي ترى نفسها جميلة رغم أنف المتنمرين.

كانت تعدل بينها وبين أخوتها في الثواب وحتى العقاب، كي لا تشعر أنها أقل من أحد بشيء، علّمتها أن تصدّ عن كل من يحاول كسر عزيمتها، لقمتها القوة مع كل لقمة، حتى وصلت مرحلة الثانوية العامة.

كادت عزيمتها تفتر وأفقها يضيق، فهي تخشى مواجهة عالم أكبر من عالمها، إلا أن أمها أصرّت عليها أن تدرس، بل أقسمت لها إن فشلت ولم تنجح ستعيد المرحلة لو عشر مرات حتى تنجح.

عزيمة محفوفة بالخوف تجرعتها تحرير، بذلت في سبيلها الوقت تدرس

وتدرس، حتى إذا جاء الليل وجفاها النوم، تمسك كتابها، حتى أنهت الامتحانات، وعاشت الفترة الصعبة.. فترة انتظار النتيجة.

يوم النتائج ووسط حالة من الترقب والخوف، تسارعت ضربات قلبها، أمسكت هاتفها بانتظار رسالة تبشرها بالخبر، لم تصل أيّة رسالة وبدأ الإحباط يسيطر على البيت ومن فيه، تسمع زغاريد هنا وهناك وبيتهم صامت، فانهارت بالبكاء، طرق أحدهم الباب بقوة، كان ابن عمها جاء حاملًا البشرى، صرخ: تحرير نجحت.. تحرير نجحت

هاج البيت وماج، وحل الفرح العارم، وزادت الفرحة عند التحاقها بالجامعة، كانت تتقدم بحياتها رويدًا رويدًا نحو الهدف، أما أمها فكانت تشعر بالفرح والفخر والسعادة لأجلها وهي تراها تنطلق في كل الميادين، فقد أنهت دراستها الجامعية بنجاح، وحصلت على الماجستير، وتقدمت لوظيفة في وزارة التربية والتعليم، لتصبح مرشدة تربوية تمنح الناس الأمل وتعالج همومهم ومشكلاتهم.

معيقات جمة وقفت في طريقها لكنّها لم تستسلم، كان عليها التصالح مع ذاتها والقبول بقسمتها ونصيبها الذي اختاره الله لها ولم تختره لنفسها، لم تتوقف لحظة وتنشغل فيما يقول الناس، بل واصلت المسير نجاح تلو النجاح، تعلمت القيادة واشترت سيارة خاصة تريحها من هم المواصلات، نجاح أثار فضول الجميع.

دمجت نفسها في أنشطة مجتمعية عديدة، وتطوعت في المؤسسات،

وقادت مبادرات، أما في مدرستها، فلم تكن مرشدة تربوية فحسب بل مدربة تدير الحوارات تعلم الطالبات الثقة بالنفس، وتحديد الهدف، وتقبل الآخرين وتخطت نشاطاتها لتصل عقد النوادي الصيفية، ولأنها ابنة فلسطين، كان لابد من دعم قضيتها ولو بالقليل الذي تقدر عليه، ففي أحداث جبل صبيح في منطقة بيتا جنوب نابلس والذي يحاول المستوطنون السيطرة عليه، هناك كان المقاومون من شباب المنطقة يرابطون يذودون عنه، وتطوعت مجموعة من الفتيات بإعداد الطعام للمرابطين، فشاركتهن بهمة وانتماء ونشاط، لم تشعر يومًا أنها غير قادرة، أو مختلفة عن الآخرين، بل كانت شعلة من النشاط ، كنحلة تجوب أزهار الحقول ولا ينتج عنها سوى العسل.

كان هدفها أن تعلم المجتمع تقبل الآخرين مهما اختلفوا عنهم أو اعتراهم نقص في الجسد، تسعى لخلق جيل واعٍ مثقف، وكانت تفكر بالخريجين، تطمح لتأسيس معهد يتضمن دورات تأهيلية تطور المهارات يلتحق بها كل خريج يسعى لتطوير قدراته، ليخرج منها قادرا على استقطاب أرباب العمل.

تحرير.. تحررت من كل قيود المجتمع وانتصرت على قيود نفسها لتنطلق نحو أهدافها ورسالتها الفاعلة في الحياة.

خُلِقنا لِنسعَدْ

في كل مرة أفتح بها كتاب الله تستوقفني آية تثير رغبتي بتأمل تفاصيل هذه الحياة، «وخلقنا الإنسان في كبد»

منذ خلق الله للإنسان يظل يكابد أمر الدنيا والآخرة، منذ أول ذرة أكسجين تدخل رئتيه، تبدأ المشقة من الضيق في رحم أمه، والمعاناة من الظلمات الثلاث، ثم معاناة الخروج إلى الدنيا، وأول صرخة تعلن الميلاد، وتتوالى المعاناة التي لا نشعر بها ونحن نربي الإنسان الصغير بين يدينا، يعاني الفطام عن صدر أمه، وألم التسنين، والمشي نحو حياته، وتعلم مهارات التأقلم مع واقع فرض عليه دون اختيار منه، ثم معاناة التربية التي يتشارك بها الطفل والأهل معًا بمراحل من المشقة، ثم السهر والامتحانات، حتى إذا ما اقترب من ساعة الانتهاء من الدراسة والحصول على الشهادة، نظن أننا وصلنا شط الأمان لنفضي إلى عالم البحث عن المستقبل واستثمار كل ما تعلمناه، من جديد .. هم ومشقة البحث عن الوظيفة ومعاناة الانتظار، ومن ثم ذل التدريب والتأقلم عليها، وصراع الأنداد في العمل، ومكائد الزملاء المنافسين، وقسوة وظلم المديرين، ونهرب إلى واحة نظن فيها الراحة، تبدأ رحلة التفكير بالزواج، ورحلة البحث عن الشريك، نعيش الحب والنشوة مع من اختاره القلب، ورضيه العقل، ليبدأ هم الإنجاب، وطفل جديد،

نركض لتأمين احتياجات الحياة، وتتراكم المسؤوليات، نتراوح بين السعادة والشقاء، حتى نصل الكهولة، ويبدأ الضعف من بعد القوة، الآلام والمواجع والأمراض، التي تستمر حتى دنو الأجل ومرحلة الاحتضار، والكبد الرهيب الذي سيكون عليه الانسان ساعتها، ومن ثم الموت.

السؤال الأهم في كل هذه الرحلة العمرية المحفوفة بالكَبد، هل تستحق الحياة منا كل هذا القتال والصراع، فنرى الإنسان يقتل ويهدر الدماء ويهلك الحرث والنسل؟

هل خلق الإنسان ليشقى ويشقي من حوله من بني البشر؟

ثم تأتي آية تطبطب على قلوبنا «طه ما أنزلنا عليك الكتاب لتشقى»، تستوقفي وكأن فيها جواب لكل ما يثير كبد الحياة في صدري، يضع الله لنا دليلا يرشدنا في رحلتنا، لن نضل إذا اتبعنا هديه، ولن نشقى إذا استنرنا بنوره، فهذه الدنيا كما فيها الشقاء والتعب فيها الكثير من النعم، فيها الحب الذي به تزهر قلوبنا، والرزق الذ يمتعنا ولا يكون الرزق مالًا دومًا، فالأهل رزق، والحبيب رزق، والصديق المخلص رزق، والتوفيق والنجاح والصحة، إذن لم نخلق لنشقى، بل خلقنا لنسعد، ونصبر، نعيش النعمات بالحمد، والابتلاءات بالصبر والرضا، فليكن شعارنا: رفيق القرآن يرقى ولا يشقى، فنعيمه في صدره ونوره في وجهه، فلا

يضل عقله ولا يحزن قلبه.

الإنسان، طفل، أو رجل، أو امرأة، لكل منهم نصيبه من السعادة والشقاء، قسمت على جميع الخلق بميزان العدل، فما أعطاك الله إياه، حُرم منه غيرك، وما حرمته أنت لخير أخفاه الله عنك، آتاه لغيرك، فلا تبغض ولا تحسد ولا تقارن بل عش الرضا فيما بين يديك، واسعَ للخير، خذ بالأسباب، وتوكل على الله ستجد حياتك جنة وارفة الظلال.

رسالة إلى اللّه

حبيبي الله..

وإنّك تعلم ما في نفسي وأنت علّام الغيوب، أنت كاتب الأعمار والأقدار لكنّني يا ربّ لم أعد أحتمل، عليّ مغادرة دنياك الفانية، فقد فَنِيَت روحي ولا زال الجسد حيًّا، أتعبتني الطريق، وثَقُلت خطاي، يحاسبني عبادك على ما لا ذنب لي فيه، وأنت أرحم الراحمين، لا ذُلَّ إلا ذُلّك فلا تذلني لسواك، أفقدوني شغفي، أهملوني فأهملتهم، فاجعلهم يتركونني لشأني، أحرس قلبي المفعم بكل الجمال الذي خلقته ولم يبصروه، بكلّ ما يعتريه، بكل الكسور والندوب التي خلّفها حزن عبر إليه ذاتَ مرّة.. رحل بأمرك، فاجعله لا يعود، عاهدت نفسي «سأخبر الله بكل شيء» فأنت معي في سكوني وعبراتي، في تفاصيل حياة تقلّبها بين يديك، أحبّك بكل ما آتيتني فأحبني وقرّبني إليك، فأنت حسبي ووكيلي، أكسر فتجبرني، أمرض فتشفيني، فأغنني بك عمّن سواك، واكفِني، وشر الناس كافني، فقد فهمت رسالتك إليّ «من تعلق بغير الله ذل»، فلا حب إلا لك.

أَقُوال تعزفها الحيَاة على وتر الأيام

- الحيَاة كالشَّمْعة كُلمَا زاد عَطَاؤهَا اِقْتَربتْ نِهايتها.
- لَيْس السُّقوط فشلًا وَإِنمَا الفشل هُو أن يَبقَى الإنْسان حيث سقط.
- البخيل أَعمَى يَهدِم صَافِي الشَّرف ويسوَّق النَّفْس إِلى التَّلف فَهُو يرى الذَّهب ولَا يرى الثَّوْرة.
- مِن يَعرِف باب الأمل لَا يَعرِف كَلمَة مُسْتحِيل.
- المصاعب كالجبال الشَّامخة تَنبَسِط أمامك كُلمَا ارتفعت فوقها.
- اَلحكِيم هُو الإنْسان اَلذِي يَعرِف متى يَتكلَّم وَمتَى يَصمُت.
- أن تمنع شَخْصًا مِن السُّقوط أَفضَل بِكثير مِن مُساعدته بَعْد أن يسقط.

أجنحة القدر

إذن.. أفضي إلى القدر أحلّق على أجنحته، لا أدري أين تحط بي أيها القدر، على قمة جبل شامخ من الفرح، أم في هاوية الأحزان؟

في الحياة دروس وعبر:

- "لقَد همْتُ بِأن أَقُول ولمٌّ أقلَّ مَا أَوجَع الكلمات سَاعَة تَحبِس في الصدر!

نحبس كل كلمة قد نندم عليها، ففي أوقات الشدة يعز الكلام، وكم صمت أجدى من حديث لن يجرّ سوى الشقاء.

- أيها الإنسان، أيًّا كنت ومن تكون:

حاول أن تكسرني لن تكسر إلا مكانك في قلبي، أما أنا فلا أنكسر».

- في قواعد الاحترام أقول لك: "ثِق فِي نَفسك فأَنْتَ تَعرِف أَكثَر مِمَّا تَعتَقِد، لَا يُهمُّني شَكلُك، ولَا أَهلَك، ولَا أَمْوالك، ولَا مَنْصبك.. تُهمُّني شَخْصيَّتك وعقْليَّتك، أَخْلاقك وضميرك، وَعلَى هذَا الأَسَاس سأحْترمك «.

- أي صديق:

"علَيْنَا فقط الإنْجاز والْعَمل، في كل مرحلة، وفي شتى الظروف،

مهما كلفتنا مِن هُمُوم وحزن وألم، يتحتم علينا السير دون توقف، ألا نعود لمكان فقدنا فيه الأمل».

- لكل المكلومين: "طريق النَّجَاح يَبدَأ مِن شَخْص كسر قلبك، وصديق يخيّب ظنّك، وَصاحِب نُفوذ ظُلمك، حَتَّى تَيأَس مِن النَّاس، وتلْجأ إِلى اَللَّه وَحدَه، فيغنّيك، بَعْض الأشْخاص لَا يُؤْمنون بِأنْفسهم حَتَّى يُؤْمِن بِهم شَخْص آخر، فلا تكن منهم."
- وأنت تسير نحو حلمك: " كُنَّ مُسْتعِدًّا لتلقّي الصَّدمات، فالْحياة مُفاجآت قد تَأتِيك مِن اَلبعِيد وقد تَأتِيك مِن أَقرَب النَّاس إِلَيك، أما سعدك وشقائك فبيدك أنت وحدك."
- في أحلك الظروف « إياك أن تحزن، تجاهل كل ما يؤلمك، فلا شيء يستحق حزنك، الرضا هو مفتاح السلام الداخلي، إذا امتلكته كنت أسعد الناس».
- تذكر أن تصمت في مواقف كثيرة فربّ صمت أبلغ من كلام، وصمتك أجمل من كلام يستنفذ طاقتك ولا يفهمه الأخرون."
- أنت في هذه الدنيا مقاتل، فكن ثائرًا أقسم أن يموت فلا استسلم ولا ألقى السلاح».
- في ساح المعارك الحياتية التي تعيشها آلام الماضي تَذكرُك أَنَّك الآن أَقوَى، ما زلت قادرًا على الوقوف على قدميك، الجراح

ستشفى، أما الندوب فستظل تذكرك بانتصاراتك وتؤكّد لك أنك قوي وأنك على قيد الحياة».

- إذا كانت الحياة نهايتها الموت، فهو مصير جمعي "جميع النَّاس يموتون، لَكِن لا يعيش جميعهم بِشَكل صحيح، فاختر سعادتك قبل مماتك."
- الحب وقودنا في رحلة الحياة، يبدأ بحب الأهل، وحب الذات، وحب كل الناس، ثم نختار شخصًا واحدا نمنحه كل الحب، أما أنا فأكتب حبي لك، وحِينمَا نَتوقَّف رُوحي عن عِشْق رُوحك، سيتوَقَّف قَلمِي عن عِشْق اَلحُروف وَتقبِيل الورق».
- نحن في هذه الدنيا عابرون، سَنمضِي يوْما تَارِكِين خلْفنَا كُلُّ شَيْء، ولن نترك سوى اسم يضعنا في خانة الخالدين بعمل صالح، وأثر طيب، ونصر عظيم، أو مجرد اسم على شاهد يقول «عاش فلان ورحل دون أثر».

الخاتِمَة

نثرت لكم بعضًا من القصاصات قد تكون مصابيح تنير ظلامًا تعيشونه، نحن البشر نخطئ ونصيب، لكننا دائما نتعلم، نستعرض تجارب الآخرين لنستفيد، ونعيش تجاربنا تارة بجها وغباء، وتارة بحنكة وخبرة صنعتها الأيام، في المحصلة أنت تكابد الحياة وحدك مهما كثر من حولك المحبين، مهما تراصت الأكتاف لتسندك، يومًا ما قد تختفي كلها فتميل، كي تتوازن اعتمد على ذاتك، اصنع من ذكرياتك براويز على حائط حياتك تزينها، تتأملها فتتذكر تجاربك وتبتسم، كل أمر نخوضه يصبح ذكرى، نبتسم حتى على دموع ذرفناها وقتها، ننضج إثر كل خيبة، ونحتفظ بالفرح في بقاع الروح، نستزيد منه في قادم الأيام، نمنحه لمن حولنا.

ثرثر مع نفسك كيف شئت، لكن انتبه حين تكلّم الأخرين، احرص على ألا تكسر أحدهم، فالأيامِ التي نحياها نافقةِ منْ جسدِ الزمنِ، هاربة من حزنِ المواسمِ والذكرياتِ المؤلمة.

اجعل منْ الألم فرحًا، ومنْ البكاءِ ضحكًا لتتأقلمَ وتصبح أقوى مهما تألمت، ابذل ما في وسعك لتسعد نفسك ويسعد بك من حولك، فالسعادة معدية، رافق السعداء وتخطى كل المعيقات حتى تصل.

خاطر في زمنِ المستحيل لتمحي هذهِ الكلمةِ منْ قاموس الدنيا بالإصرار، كنَ أنتَ الحلُ لكلِ مشاكلك وإنَ عظمتْ.

كنَ وريثَ الأملِ منْ بقايا الشتات، وكنْ ونيسْ روحكَ المهترئة، أجعل منْ الحلمِ حقيقةً، وكنْ رفيقَ الناجحين، كنَ مبتسما في دنيا عابسة، ولا تقع فريسة للاستسلامِ.

فهرس المحتويات

المقدّمة	3
الاهداء	5
الاهتمام	6
من أنا؟	7
الحيَاة	8
وهمُ الحياة	10
كلمات تَهُز الأحاسيس	12
كلمات من عمق الحَياة	13
عِباراتي هِي جُزْء مِن سكاتي	15
الأمّ	16
إِلى شَقيقِي ...	18
إِلى مُلْهِمي	21

غُصَّة قَلْب	22
ذاكرَتي	25
لَوعَة الفرَاق	26
صَرَخات أُنثَى	27
أَيهَا السَّاكن فِي الأعْماق	28
دَمَار اَلحُب	29
الخيانة	30
لَوعَةُ أَيلُول	31
هُدُوء اللَّيْل	33
حُبٌّ قديم وَحاضِر مُمزَّق	34
ماذا لو عاد معتذرًا؟	37
بصير القلْب يرى حتى لَو أَغمَض عَينَيه	38
عِتَاب مع نَفسِي	41
مُعْجِزة في زمن العجائب	42

الصَّداقة	47
تجربة في الحب	49
الانْكسار	51
أَكتُب إِلى حَبِيبَة القلْب	53
اِختِيار مَا بَيْن العقْل والْقَلْب	55
عِنْدمَا يَمُوت اَلضمِير	57
مَأْسَاة شَعْب	59
امرأة صنعتْ منْ العجزِ إرادةً	63
إرادة وعطاء	68
خُلِقنا لِنسعَدْ	72
رسالة إلى الله	75
أَقُوال تعزفها الحيَاة على وتر الأيام	76
أجنحة القدر	77
الخاتِمَةْ	80